حاجات

© وكالــة سفنكس
سلسلة إبداعات عربية

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولي: القاهرة ٢٠١٦
رقم الإيداع: ٢٠١٦/٣٦٤٨
ISBN: ٩٧٨-١٥٣٠٦٨١٠٤٤

وكالة سفنكس

وكالة سفنكس للترجمة والنشر والتوزيع
٧ شارع معروف - الدور السابع
وسط البلد - القاهرة
ت/ف: ٠٠٢ ٠٢ ٢٥٧٩٢٨٦٥
موبايل: ٠١٠٦٨٨٠١٥٤٥
www.sphinxagency.com
info@sphinxagency.com

سلسلة
إبداعات عربية

جراحات
قصص ورسوم
أشرف إبراهيم

تصميم الغلاف و التنسيق الداخلي
أحمد علي

جميع الحقوق محفوظة للناشر، ويحظر نشر أو اقتباس أي جزء من هذا العمل أو كله إلا بإذن كتابي، ومن يخالف ذلك يتعرض للمساءلة القانونية.

Sphinx Agency © 2016

جراحات

قصص ورسوم

أشرف إبراهيم

وكالة سفنكس

مقدمة

في الحقيقة لم أفكر بتحدٍ كهذا، أن تكتب مئة قصة بمئة كلمة فقط، ولكنني وجدت نفسي أخوضه، فاجئني ذلك التحدي بصعوبة العثور على موضوع قابل للصياغة بهذا النوع الفني، ولكنه قالب انتقلت للكتابة فيه عن حب كبير كقاريء شغوف به، فمن الشعر وتحولاته التي خضتها بكل أشكاله تقريبا، للرواية والمقال، وكنت في بداياتي الأدبية بدأت بالمسرح والكتابة إليه، ولكني لم أجد نفسي فيه، فتحولت عنه واستمر انتقالي، فأنا أميل للدفق الشعري أكثر من أي شيء، ولعلكم ستجدون أثره في روح تلك المجموعة، وكنت دائما بكل تلك التحولات أميل للتكثيف والاختزال. أما عن الرسم فلم يفارقني أبدا في كل الحالات، وإنما يبتعد ويقترب كثيرا من رؤيتي، حتى يكتمل في مجموعات ومشروعات بصرية لدفقات وحالات مختلفة، ما أمكنني التعبير عنها بالكتابة قط، وإنما ولدت في وعيي بصريا، في هذه المجموعة لم تكن الرسوم معادلا بصريا للنصوص القصصية أبدا، وإنما هي نوع آخر من التجلي المفارق لحالات الكتابة، طريقة أخرى من طرق التفكير الإبداعي، فجراحاتي

المكتوبة لا تقابلها جراحاتي المرسومة، وإنما هي جراحات موازية، لها منطقها وعالمها الخاص، ربما يلتقيان أو يتقاطعان بين دفتي هذه المجموعة، وبالتأكيد هناك صلة ما بينهما، فبتعرية العالمين، أو بجمع النظرتين المكتوبة والمرسومة تكتمل رؤيتي الإبداعية، وإن كان لا يرى البعض ضرورة لهذا، فلكل عالم أدواته وعناصره ومنطق رؤيته، إلا أنني أرى في العالمين معا ضرورة لرؤيتي المتكاملة التي لولاهما ما كنت في هذه الدنيا.

أشرف إبراهيم
القاهرة: شتاء ٢٠١٦

حسبة

استلم راتبه وأسرع للشارع، لم يكن لديه لحظة، ليعد نقوده، وهو ذاهب لعمله الثاني، فقد انتظر طويلا حتى يتقاضى راتبه، بعد أن خصم ربع يوم لتأخره، بدأ العمل ثم انقضى دوامه، منذ خرج من المبنى يتحسس جيبه، وحوله العربات وأنوارها الباهرة في ليل ممطر، ولا يفكر إلا في قسمة راتبه بين امرأته والدائنين والإيجار والأقساط والطعام والتبغ وغيره، كل مرة يصل فيها لحسبة خاسرة، تعثر في أحجار الطريق مرات، أعليَّ أن أجد عملا ثالثا، أم أقنع زوجتي بالعمل، والطفل وأمي الكبيرة، ويعدُّ النقود مرات، أراد أن يتأكد من فئة ورقة منها على ضوء عربة قادمة، قذفته السيارة للرصيف جثة هامدة.

دائرة

ربما لم ينم على الإطلاق، وصحا على صراخ الجيران يتعاركون، ود لو يختفي من ذلك العالم الفقير الصاخب القذر، لكن ماذا يمكنه أن يفعل، وتلك هي الحال، لا يستطيع منها فكاكا، أخذ حقيبته، ومضى للعمل، ككل يوم هي السحن نفسها التي يكرهها بشدة، على بوابة المبنى الآيل للسقوط، نفس نبرة اللوم في صوت ذلك الحارس البغيض:

- لماذا تأخرت يا سيدي؟

ما عدت أطيق صعود تلك الدرجات، ولا عبور تلك الردهة، ولا رائحة تلك الغرفة، ولا المبنى كله.

رسم دائرة بذراعه في الهواء، مطوحا بالحقيبة بأقصى قوة من شرفة المبنى، وقفز وراءها؛ هنالك استيقظ مذعورا على أجراس المنبه وزعيق الجيران.

شتاء

مر المسكين، صافحنا بعينين مبتسمتين، وكفين مفتوحتين لأي احتمال، يسألنا شيئا غير تلك الابتسامات المحنطة التي ندفعها إليه، كلما مر كل شتاء، أشفقت عليه، وكنت أفكر أن أعطيه شيئا، ولكنني لم أتجاوز باب المقهى، وناديته مرة وأخرى ولم يلتفت، ساحبا عصاه التي يجرها على الأرض دائما لا تفارقها، وصرته التي في أقصى طرفها تتدلى على كتفه، قدماه تزحفان بصوت يحمل هم عمره، وبحذاء كثير الثقوب، وكأن قطيعا يمشي خلفه، عدت لمكاني الدافيء مستغربا، قال الشيخ الكبير الجالس قبالتي، لا تجهد نفسك إنه أصم، فعدت أبحث عنه، كان قد اختفى من خط الأفق، ربما علي أن انتظره في رحلته الشتوية القادمة.

حالة

تذكر كل الأسماء التي تخفي بها، وآخرها الذي قاله لرئيس العمال، والذي أتى به، والذي لولاه ما نجا من قبضة ذلك المخبر الحقير، علي تلك المقهي، والذي كان يصر أن يسحبه إلي مركز الشرطة، لمجرد أنه ليس معه إثبات شخصية، وأخبره أنه أحد عماله الجدد، وأمر له بشاي، وأخذه دون أن يسأله عن شيء، حتي جاء في الليل إلي المحجر النائي، ما اسمك؟ ومع تلعثمه ولم يرد، فقال:

- لا تخف إنك في مأمن هنا.. هنا ستعمل وستعيش كغيرك، كلهم مساكين مثلك، لا تخف يا بني..

من ساعتها ظل يقطع الصخر حتى شاب، وأصبح رئيسا للحمالين بنفس المحجر ما غادره قط.

جريح

هبط على الحذاء كالصقر، ما إن انتهى منه، حتى طلب شايا، وجلس منتشيا يدخن سيجارته الوحيدة، هائما بالذكريات والحكايا، غائبا تماما عن المقهى المكتظ، حتى أزاحه النادل عن كرسيه، لزبون يريد أن يشرب شيئا، جلس على رصيف المقهى لينهي سيجارته، ما إن رماها بحزن، حتى جال بعينيه في المقهى، والتقف عدته، وحط بها أمام شيخ كبير، ما إن رآه حتى انحنى للحذاء يخلعه، فوضع قطعة الورق المقوى تحت قدميه، وراح إلى ركنه المعهود يلمع الحذاء، وأخذ يغني لنفسه بصوت مجروح، عاد للرجل، أسقط في كفه العملات، وهو يتلقاها في سعادة كالأطفال، ثم جاء بسيجارة جديدة، وطلب شايا، ومضى مع الذكريات.

عقد

شعرها مسعث متسخ، ملابسها ممزقة ومرقعة، حول رقبتها عقد من قطط ميتة بحبل من الليف الخشن، وتسحب وراءها أربعة كلاب شرسة بأعناقهم سلاسل طويلة، وتتسول بالشوارع، رأيتها تقضي حاجتها أمام المركز التجاري الفخم، ساعتها انتصب كلابها حولها في الاتجاهات الأصلية الأربعة، وصاروا صفا واحدا ضدي، نباحهم ينزع القلب من الصدر، وكبرت رؤوسهم وأسنانهم فغدوا كالتماسيح، وتحولت المرأة إلى نار عالية، ثم خمدت فجأة، وصارت فحما يدخن، أفقت وقد أفلت من فك أحدهم، فوقعت عن سريري، لما ذهبت للعمل، كان بعض الزملاء يقفون حولها صفا، وكلهم عابسون في وجهي، والسيدات على مكاتبهن غير عابئات، من قبل أن ينطق أحد، قدمت استقالتي.

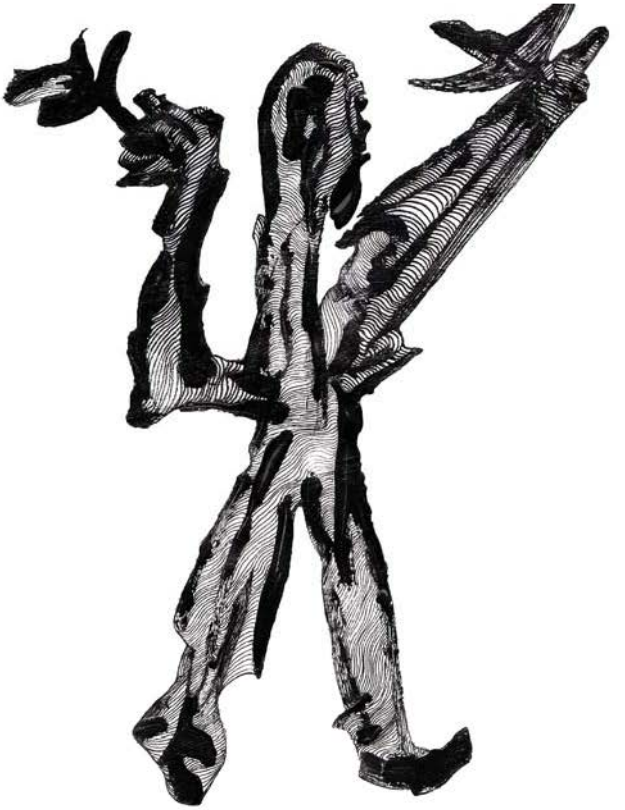

إجهاد

عاد من عمله منهكا، لشقته التي يستاجرها لأسبوع سيقضيه بالمدينة، ما إن فتح الباب حتى رأى امرأة عارية تماما، قبَّلها وكأنه يعرفها، وهي تعرفه جيدا، حملها إلى سريره، وقضيا ليلة رائعة، استيقظ، لم يجدها، وتفقدها في الشقة كلها، لكنه اكتشف بابا بالمطبخ، لا يمكن غلقه، يمكن أن يمر منه شخص نحيف، لكن ليس لامرأة بضة مثلها، فانصرف للعمل، وانقضى الأسبوع سريعا، لم يبق سوى ليلة وحيدة، قضياها معا، وعندما نام حلم بامرأته تركض من كلب شرس، ودخلت عليه، وهو نائم، فقام يطارده طول الليل، استيقظ على لسان كلب يلعق خده، فارتعب، وتحولت امراته لكلبة، وركضت لباب المطبخ، والكلب يلهث وراءهما.

عمل

استلم أغطية الطاولات مبكرًا، بصباح صيفي شديد الحرارة، بأول يوم عمل له في المطعم على المسبح بالفندق الكبير، توقف عن تخيل ما سوف يراه، لكنه كون صورته مما سمعه من زملائه، مجرد سيقان وأذرع عارية لنساء غربيات، انتهى من تغطية الطاولات، ووضع مطفأة سجائر لكل طاولة، وبدأ ينظم وينظف الكراسي، فاجأته ضحكات صاخبة آتية من الممر الطويل، فنظر من بعيد، فوجد امرأتين عاريتين تمامًا، ففرك عينيه، واقتربتا، تجمد مكانه، لما وقفتا أمامه عاريتي الصدر، وهناك خرقة صغيرة تغطي وسطهما، أعطى كل واحدة منشفة كبيرة، كجزء من عمله، ولاحظاتا أنه لا يرفع عينيه لهما، فداعبتاه، وهو يتمتم أصبحنا وأصبح الملك لله.

الظل

سار بجواري، لم أنتبه لما يفعل تحديدا، من وقت لآخر يقذف الحائط بحجر، ويسب أحدا، ظننته يسبني أول الأمر، لكنه حين يمر بمنطقة مظلمة يستشيط غضبا، ويقسم أنه سيجده، وأنه لن يستطيع الهرب مهما فعل، فتأكدت أنه ليس يعنيني بسبابه، ويظل يجمع حجارة الطريق، فكرت أن أرجع من حيث أتيت، ولكن الوقت متأخر، وأنا منهك، وأين سأذهب، وليس هناك من طريق آخر للبيت، ويظل يسب الذي اختفى منه، فجأة حين ندخل في الضوء تتحول يده لراجمة صواريخ، لا تنضب منها الحجارة، فوقفت أتأمل المشهد، وما يفعله ذلك الرجل، فأصابني الذهول، وسقطت أرضا من الضحك، إنه في معركة حامية مع ظله.

صدام

يبحث عن الشحاذين، كل مساء يجوب الشوارع، ينتقي منهم واحدا، أول ما يلقاه يعطيه فئة نقدية كبيرة، ويأخذه لأرقى مطعم بالمدينة، ويطلب طعاما وشرابا لاثنين، ويؤكد أيضا أنه الأفضل، ولا يأكل أو يشرب شيئا قط، ما إن يفرغ الشحاذ، يدفع الحساب له، ويوصله حيث وجده، ويتركه ويمضي، تصادف أن فعل الشيء نفسه مع الشحاذ ذاته، دون أن يتذكر، في السيارة مد الشحاذ أطراف أصابعه لفخذه، فثار عليه بشدة، وامتقع لونه، صارخا فيه أنه يعاني المرض العضال، يمنعه أن يأكل أي شيء، ويتغذى بالأدوية، فيسعد كثيرا حين يأكل الناس ما يحبه أمامه، وبكى، خرج الشحاذ صامتا، فأسرع بالسيارة بعصبية، فاصطدمت بشجرة.

للسماء

بعد كثير من الشتاءات، لم أعدها، عاد المسكين، بحذاء جديد، ما زال يجر عصاته التي لا تفارق الأرض، وفي طرفها صرته التي بللها المطر، ويداه مبسوطتان، وفي عينيه ابتسامته الدائمة؛ خطى بضع خطوات، وعلى أول كرسي في المقهى، جلس شاردا، وكأنه يرهف السمع لشيء، التفت فجأة، اندفع لطاولتي، مد يده للكأس، قذف بالماء في جوفه، وأشار للشاي الذي تتصاعد أبخرته، وقبل السماح بأخذه، كان قد رفعه بين يديه، ورشف رشفة، وعاد حيث ألقى عصاه، جلس مطرقا، يحدق في السماء، وضع برفق قدح الشاي الفارغ على أقرب طاولة، نظر إلى الأرض، وأرجع ظهره لكرسيه، ورفع رأسه للسماء، وسقط على الأرض ميتا.

إرغام

هناك ضبع في عام أنثى، وفي آخر ذكر، لسانه يبري العظم بري السيف، لكن الذئب لا يبارى في كسر العظم بين لحييه، والأسد يركض في الليلة ثلاثين فرسخا في طلب الملح، ويأكل كل خمسة أيام، أعينهم كلها تضيء ليلا، لم أدرك كل هذه الحقائق حتى تلك الليلة، حيث نامت رغما عني عيني في الخدمة، حاولت أن أكون الذئب، فصارت تنام عين واحدة من عينيَّ، كلما أرغمت على شيء أكرهه أو لا أطيقه، وبعدها انقسم كل شيء لدي نصفين، وصرت أفعل شيئا بيميني، فتهدمه شمالي، وكلما تقدمت خطوة، تأخرت مثلها، فغدوت أسرع الناس في الركض بنفس المكان، حتى صرت ذئبا حقيقيا.

جرأة

أجلسها في مكان خاص بالمقهى، وأخذت تعدّل من زينتها، وكأنها وحدها في غرفة نومها، والمقهى كله عيون، وأتى بشايها ونرجيلتها، وهو يضاحكها، وهي تدخن شاردة العينين في هاتفها، وحين غادرت المقهى، ودفعت بورقة كبيرة للنادل، رفع كلتا يديه ممتنا، وعبرت الممر الطويل، برنة كعب عال، بملابسها المحبوكة على جسد فاره، وعطر مثير، وبميوعة لعوب، لم يفتح أحد فمه بكلمة واحدة، برغم تهدل شفاه أكثرهم، وشخوص وجوههم عليها كالتماثيل المحنطة، وحين اختفت، تصاعدت اللعنات والاستعاذات والآهات، جميعهم يحسدون النادل، فانفرجت شفتاه الغليظتان عن سنته الذهبية، وفرك شاربه، كأنما استعاد أربعين سنة من عمره.. وصرخ: آه.. ليس لي أسنان لكل هذه الحلاوة..

حالة

جلس مضطرا، بعد العصر بقليل، تحت ظل البنايات العالية بذلك المقهى الخفي، ببطن المدينة المكتظة، في حرج شديد، فنادرا ما خرج في ذلك الوقت، إلا إذا كان مرغما، لم يسأله النادل عن شيء، الجميع يدخنون، ما بين نرجيلة وسيجارة، وبعضهم يشربون أو يأكلون، مع القيظ والصوم تلح معرفة الوقت عليه، فينظر للساعة بقلق دائم، منتظرا أصدقاءه، مسائلا نفسه ببراءة أكل هؤلاء من المرضى؟ لعلهم مسافرين!! في لحظة صمت نادرة فجأة رن هاتف، وآخر، أغلب الهواتف رناتها أناشيد وابتهالات وأدعية، وجميعهم يردون، كما لو كانوا مرهقين من العطش والحرارة.. ويغطون هواتفهم بأكفهم متحاشين ضجيج المقهى..

السلام عليكم.. السلام عليكم.. رمضان كريم..

إمام

خلع بزته الرسمية، وسبقهم إلى الوضوء، وكان أصغرهم سنا، وقفوا جميعا، ربما كي ينهي وضوءه، برغم رحابة المكان في المسجد، وما توضأ أحد قبله حتى انتهى، وقام لصلاة ركعتي السنة، كلهم اتخذوا أماكنهم خلفه بمسافة، وحين أقيمت الصلاة، تراجعوا جميعا، وقدموه ليؤم المصلين، قرأ الفاتحة كما لو كان يتلو بيانا عسكريا، وبنفس الطريقة.. الرحمن.. الرحمن.. الرحمن.. بدا متلعثما في قولها، أسرع أحد مساعديه الذين حملوا له بزته حين كان يتوضأ، رافعا يده كما لو كان يؤدي التحية العسكرية، مترددا تقدم نحو أذنه مباشرة، وبصوت مغلوب على أمره: علم القرآن.. علم القرآن يا باشا.. وعاد مكانه في صف المصلين.. الله أكبر..

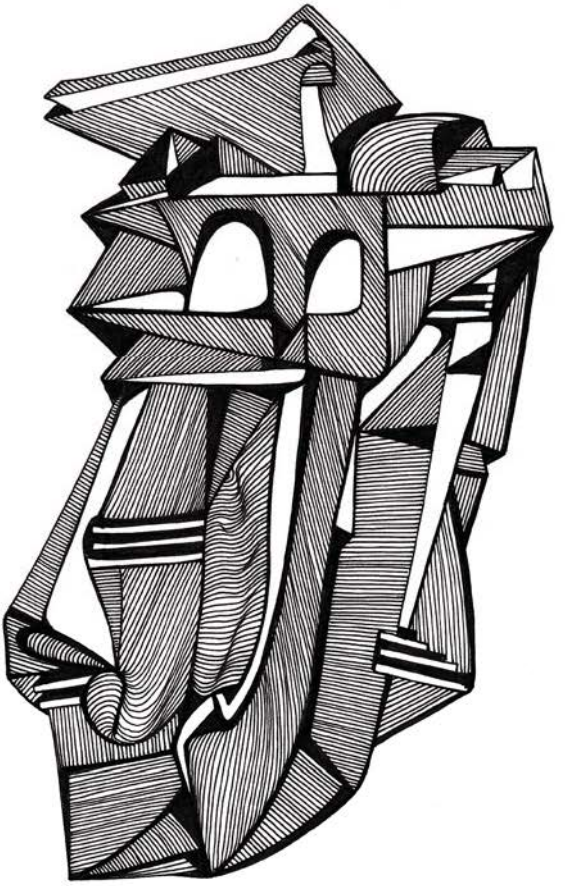

نادل

حين سأله عن سعر العملة، رد بسؤال استنكره بشدة، منذ متى وأنت تعيش هنا، وتركه ومضى، من ساعتها يسأل نفسه كل يوم متى سأرجع، يعد الأيام، ويعود ليجد نفسه غريبا، لا مكان له في تلك الأرض، وبين هؤلاء الناس، ولا هذا الزمن، فيرجع لغربته، يجمع المال، ويحسب فرق العملة، ليجد نفسه غنيا بمقاييس بلده الفقير، فيقول لنفسه بالمال أستطيع فعل أي شيء، وحين أعود سأكون أكبر وأقوى وأغنى، وسيقدرون نجاحي في غربتي، أنا في الحقيقة أعمل نادلا، لا ضير، لا أحد سيعرف أبدا، أفاق على يد شرطي تسأله عن هويته، فأخرج جواز سفره الأجنبي بكل احتقار، أتعرف مع من تتكلم.

غثيان

لم أضع مساحيق زينة، أو أرتدي ثيابا خلاعية، وقصرت شعري، وأحيانا أغطيه، فتلك البلاد محافظة، وأهلها متدينون، كما فهمت، ومع هذا، يلاحقونني كشابة تمشي عارية، إن لم يكن بأفواه تتحرك بشهوة بالغة، ولا أفهم ماذا يقولون بلغتهم المحلية شديدة الصعوبة على فهمي، فبأصابعهم، وبأيديهم وبأرجلهم، يعاملونني كعاهرة أتسكع في الشوارع، من كثرة ما عشت ورأيت من هؤلاء الناس، صرت لا أركض وراء أحد لامس إليتي أو مس نهدي، لكني لم أمتنع أبدا عن الامتعاض الشديد، والإحساس بالغثيان، لكن أكثر تلك الحوادث التي لن أنساها، حين تبعني رجل أشيب، ودخل معي مصعد الفندق، ثم خلع معطفه، فصار عريانا كما ولدته أمه.

قزم

ظل يزعق فيهم: ستظلون هكذا.. واقفون بلا حراك.. لا تعملون شيئا أبدا.. متى تتحركون إذن؟ ألا تتعلمون مني؟ أنا..أنا أحدثكم.. فجأة سكت، وسأل نفسه: وماذا أفعل أنا؟ غاب عنهم سنة، ثم عاد يزعق فيهم: أما زلتم لا تعملون شيئا، أنظروا ماذا أفعل.. جربوا.. لن تخسروا شيئا.. حاولوا.. وغاب عنهم سنة أخرى، وعاد يصرخ فيهم: بربكم حاولوا مرة.. وراح سنة أخرى، ثم رجع، جلس على أريكة الحديقة ينظر إليهم، وقد صاروا أشجارا باسقة، تنمو زهورها.. فانتبه، لقد أخطأتكم.. بربكم سامحوني.. إني كنت أحسبكم مثلي كسالى.. كنت فقط أحاول أن أدفعكم لفعل شيء.. أي شيء.. لكنكم غافلتموني، وتتطاولتم، وتركتموني قزما بلا زهور.

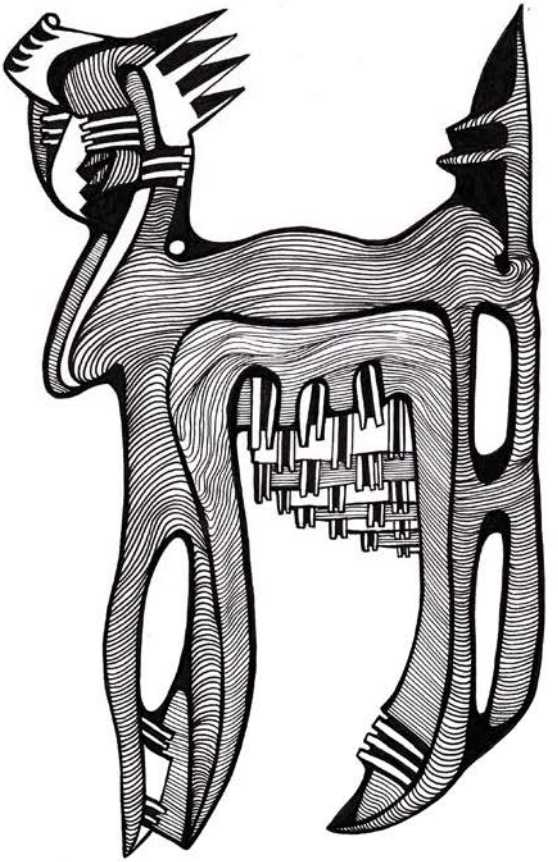

رؤية

نظر في المرآة، فزع جدا حين رأى شعرة بيضاء في رأسه، فنزعها من فوره، في اليوم التالي، نظر للمرآة ثانية، فوجد الشعرة ذاتها في نفس المكان، فأزالها أيضا، وبعد يومين، وجدها في مكانها لم تزل، اقترب أكثر من المرآة، لاحظ شعيرات بيضاء أكثر من أن ينزعها، ابتعد قليلا عن المرآة، عاد له لون شعره كما كان، ثم اقترب فرآها بيضاء، فقال في نفسه، يبدو أنني كبرت، ذهب للطبيب، وصار يرتدي النظارات، وخزانة أدويته تزداد، ثم غدا يسير بعصاة، يوما خلع النظارات، ونظر في المرآة، شعره عاد أسود كما كان، فامتنع عنها تماما، ولم يحمل عصاته بعدها، وتوقف عن الأدوية أيضا.

يوم

استيقظ منشرح الصدر، مقبلا على الحياة، يود أن يعانق كل كائن يقابله في ذلك اليوم المشمس، ولم يدر لماذا، صادف أناسا كثيرين عرفهم، لم يقابلهم من سنين، في أماكن كثيرة لم يتوقع زيارتها اليوم، وحين جلس يشرب شايا في ذلك المقهى الذي نسي أنه كان مقهاه الأثير يوما، وجد كل ما فيه لم يتغير، ولم يتغير أصحابه، وتداعت ذكريات وصور من ذاكرته الباهتة، فترحم على تلك الأيام وناسها، ودفع آخر النقود في جيبه ساعتها، وعاد لزوجته العجوز ممتنا، قبَّلها وأطال في حضنها، وتحسس شعرها، وذهبت لتعد العشاء الذي يحبه، وعلى كرسيه المفضل جلس، وكعادتها تكلمه من المطبخ، لكنه غافلها ومات.

عجز

أصبحت أنام واقفة، وصرت مرتابة من كل شيء، فأي جرح صغير كفيل بقتلي، فدمي متخثر، وربما أموت بأي لحظة، أفتح كل النوافذ، والأبواب، والتلفاز بحجرة المعيشة، والمذياع بغرفة النوم، أتساءل لماذا أهملوني، وتركوني هكذا، كل تلك الأصوات التي حوالي تزيدني وحشة، لكني لا أنام قبل أن أغسل الأطباق، وأنظف المطبخ، وأعد دائما طعاما قليلا للغد، فأنا وحدي، إن مت فمن يأكله، أطعم القطط من خارج الباب، فقد كبرت، ولا احتمل تنظيف ما يفعلون، فصاروا يوقظونني بخربشة على الباب، فأعرف موعد إطعامهم، حتى توقفوا فجأة، وعرفت بعد فوات الأوان، أنهم أودعوني سريرا في المستشفى، وكل يوم أنظر للمرآة، وأضع المساحيق وأنام.

تماسك

مجرد ألم بسيط أخذ يتصاعد، ذهب للطبيب، لما نظر لموضع الألم وورمه، وأجرى الكشف الروتيني عليه، أقنعه أن يقوم ببعض الفحوصات والتحاليل، لم يبال كعادته، وظنها مبالغة من طبيبه، أو ربما يريد لأصدقاءه بمعامل التحاليل والأشعة بعض العمل، فلما زاد الألم، استجاب لأوامره، ولما عرف من الطبيب أن حدسه كان صحيحا، وأن هناك مرضا عضالا تمكن منه، بدا متماسكا، وكأنه أمر عادي، ولما خلا إلى نفسه، نظر للأشعة والتحاليل، وبكى ليلتها، لكنه ظل حتى مات فجأة وسط الناس على المقهى، مستمتعا بأحاديثهم ومضاحكتهم، والسهر حتى الصباح، لم يعش بعدها لحظة لنفسه، ولا أحد يعرف عنه شيئا، وخرج وراء نعشه الجميع.

كسر

كانوا حولي حين انكسر ذراعي، كل يوقع على الجبيرة، جمل وعبارات كتبوها للذكرى، صار ذراعي جدارية عظيمة مشغولة بالتواقيع، كل يترك أثره ويمضي، ربما لعلمهم أن كل ذلك سيقذف يوما ما بسلة النفايات، ويصبح مجرد ذكرى عارضة لحادث مرَّ، لكنني رأيتهم حين انكسرت أنا شخصيا، لا يحتمل أحد أن ينظر إليَّ، تركوني تنهشني الوحدة والكآبة، ما فكر أحد في مكالمة هاتفية لدقيقة لا أكثر، وما كنت أنا نفسي أفكر بفعل هذا، وبدا كل ذلك على نفسي ثقيلا جدا، لم أفقد إيماني بهم وحسب، بل فقدت الإيمان بذاتي، فوقعت مكسورا أمامهم، ولم ينتبه أحد، ما عاد أحد هناك، وكأني لا أحد.

نظرة

حين زرنا صديقتنا بعملها، بتلك المقبرة الأثرية الصغيرة، أخذنا جمال المكان وروعته، كان العمال يستمتعون بوقتهم بغناء صوفي بديع، وبرغم أن بعضنا لا يفهم اللغة التي يغنون بها، لكننا تأثرنا جميعا، وحين رأينا أجزاء المومياوات المتناثرة بين الركام، وتلك الجمجمة المخيفة على المائدة تشخص إلينا، كما لو كانت تتفحصنا بأشعة إكس، وتتأمل خبايانا، والممر الصخري المحفور عميقا في الجبل، غمرتنا رهبة الموت بقوة، وجه صاحبتي أخذه الحزن، وصاحبة المقبرة تشرح الرسوم الجميلة على الجدران المتآكلة بوجه غير عابيء، والعمال رائحون غادون من بطن الجبل لسطح المقبرة، عند مغادرتنا نظرت لتلك الجمجمة، وجدتها تحولت ناظرة باتجاهي، تبتسم في سخرية بلا اكتراث.

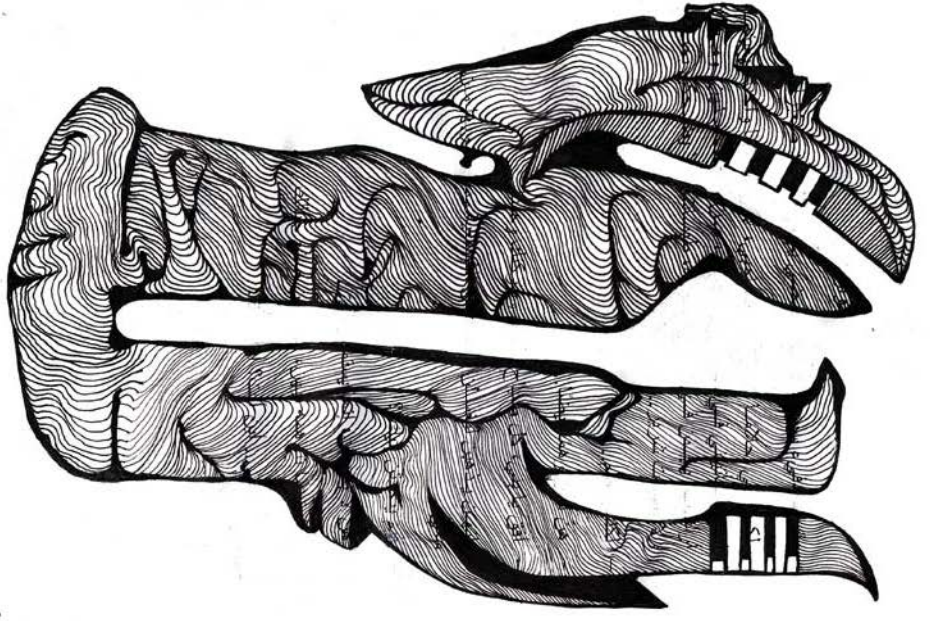

تجربة

دعانا أستاذنا للغداء بمنزله الفاره، قبل أن يتم قبولنا للدراسة معه، فوجئنا أننا وحدنا، من البلد نفسه، فسألنا عن الآخرين، فأنبأنا أنه في الحقيقة متحير من أمرنا، فهناك مقعد واحد شاغر للدراسة، وعليه اختيار أحدنا، حضر الطعام، وبدأنا نأكل، فيما هو ينظر إلينا، وإلى طريقة أكلنا، لم يبدأ بطعامه مثلنا، ولما انتهينا، كل منا أخذ يحاول إثبات جدارته بالكرسي الشاغر، فأوقفنا، قائلا لقد حسمت أمري، فأصابنا الهلع، فألححنا عليه كي نعرف، فأخبرنا أن دراستنا تقوم على التجريب والاختبار، وأحدكما لم يذق طعامه، ووضع الملح فيه من قبل أن يأكله، لم يختبره، فكيف يحتمل التجريب، فاصفر وجه أحدنا، وتهلل وجه الآخر.

صندوق

كأن للريح صوت يحذره من شيء ما، ينذره بشيء غريب حيال تلك المدينة الوادعة القابعة في سفح الجبل، كل مساء يجلس في شرفته وحيدا، بانتصاف الليل، ونوم المدينة، تصحو الريح، وتبدأ معه حديثها الهادر، في البدء ظنها تصطفيه بذلك الحوار العاصف، وبعد ليال، استيقن أن هناك كائنات كثيرة تجتبيها الريح بأحاديثها، في صندوقه الزجاجي المحكم بالطابق الأعلى من المبنى، تدوم به الريح ويذهبان معا برحلة بعيدة، فكر ليلة أن يفتح نافذته للريح، مع أن صاحب البيت حذره ألا يأمن للريح، وألا يصغي لها أبدا، ما إن فتح النافذة حتى اقتلعته الريح بصندوقه الزجاجي الذي تهشم تماما، ورمت به فوق الجبل.

موقف

بدا الليل موحشا، وحده صاح بين الصخور، جسده مثقل بين أجساد من الشخير، وسواد لا تنتهي عذاباته، عواء ذئاب بعيد، ونعيق بوم لا ينفض، يأتنس بالأنفاس الثقيلة حواليه، وهسيس النار بمدخل الخيمة، عيناه متحجرتان على فوهة الخيمة، ما إن جلس ومد ساقيه بطولهما، متحسسا كفي قدميه، حتى أدرك ما أنساه الخوف من تعب، فأمال جسده ليرى فوهة الخيمة دائما، موقنا أن هذه الفوهة سيأتيه منها الخطر، أي خطر قد يأتيه أكثر من الموت، وهل الموت خطر في حالته أصلا، أهكذا أموت في خيمة حقيرة كهذه، بين هؤلاء الموتى، أهكذا أستريح، انتفض، خرج من باب الخيمة، تعثر فسقط من أعلى الجبل.

سراب

كان القمر بدرا، بسماء صيفية، وليل ليس فيه سوى حفيف الأشجار العالية، ونقيق، وصرير، وكانت الظلال البعيدة تتراكب في عيني دببا وزرافات وأفيال هائلة يحركها الخيال، لقد حذروني ألا أخرج بذلك الوقت، ولم أكترث أنا ابن المدينة، وأرى ما يقولون محض خيال، مضيت في طريقي بمحاذاة الترعة، عند المنعطف الخطير الذي كان محور جلسات سمر، وحكايات مرعبة كثيرة، رأيت بعينيّ هاتين الأرانب الذهبية تتقافز وتتكاثر وتتقارب، وكلها تمضي نحو الجسر، وكلما حاولت الإمساك بواحد منها، أفلت كالسراب، وأنا مائل للتراب، وسط الطريق، جاء الغفير فجأة من الطرف الآخر للجسر، فانخلع قلبي، نظر لوجهي، وصافحني، فأحس بارتجافي، باغتني بالسؤال: أطلعوا لك؟؟

حيلة

كالعادة يذهبون جماعة كبيرة مع المريض، كلهم بزيهم التقليدي، وكان الوحيد الذي درس اللغات الأجنبية، برغم مرضه الشديد الذي استوجب القدوم للمستشفى، استطاع أن يتحدث مع الطبيب بواحدة من تلك اللغات الثلاث التي يجيدها، برغم شكله التقليدي الذي لا يوحي بأي معرفة، فهم منه لماذا أحضروه لقسم ال نفسية والعصبية، نتيجة لمرضه المستفحل الذي قد يدفعه للانتحار، أدرك حيلتهم تلك، فأقنع الطبيب أن المريض ليس هو، وإنما أحد مرافقيه من أصحاب العمم الكبيرة الذي بدا كذلك، لمرح يبديه ساعتها، وحين انتهى الطبيب من الحديث معه، استقر رأيه أنه يحتاج لعناية فائقة، وغادروا المستشفى، دون أن يشعروا بشيء، بعد بضعة أيام توفى.

جنون

أفاق فوجد نفسه عاري الصدر، يطوي ملابسه على حجره، قاعدا على الرصيف، وصاحبه نائم بهدوء بجواره، مكورا ملابسه وواضعا إياها كوسادة لرأسه، وعاري الصدر أيضا، أخذ ينظر ببلاهة إلى زميله، ويحاول جاهدا أن يقف فلا يستطيع، فيبحث عن سجائره، ويفلح بعد معجزة حقيقية في إيجادها وإشعال سيجارة، وتبدأ قطرات السماء، ويشتد المطر، فيقوم مهتزا كشجرة عتيقة وسط ريح شديدة، ينحني على صديقه، محاولا إفاقته، فيسقط عليه، فيستيقظ صاحبه، راكلا له برجله فيرفصه، فيقعدان في وسط الشارع تماما، والمطر ينهمر، وهما يضحكان في هيستريا، ويلهوان بالطين، ويقذفان بعضهما به، والعربات القليلة تصيح فيهم مجانين، فيصرخان في وجوههم لعنة الله على الفودكا.

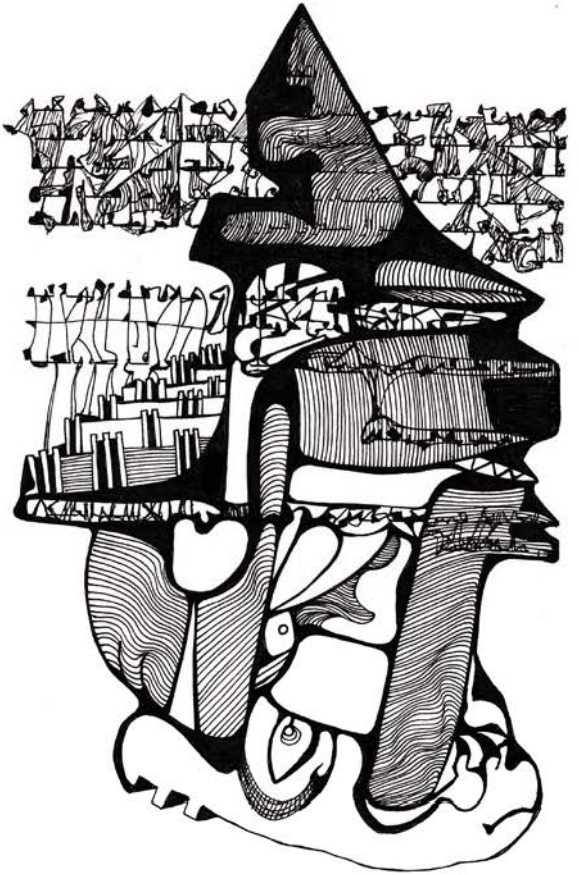

رحالة

قـرر البقـاء، وعـدم الخـروج معهـم، مـع أنـه جـاء للنزهـة أصـلا، لكنهـا طريقتـه في التعـرف عـلى المـكان، جميعهـم يحكـون لـه كل مسـاء، مـاذا رأوا؟ كيـف وجـدوا المدينـة والنـاس، ولا يـأكل طعامـا، ولا يـشرب إلا إذا أجمـع عليـه الرفـاق، يعرفـون جميعـا ذلـك عنـه، مهـما كان قـصر الرحلـة أو طولهـا يقـضي الأيـام الثلاثـة الأولى تقريبـا في غرفتـه لا يغادرهـا، بعدهـا يكـون لديـه قائمـة قصـيرة جـدا بالأماكـن التـي يـود رؤيتهـا، وحـين يزورهـا يجلـس في أهـدأ مـكان فيهـا شـاردا، يتأمـل كل شيء حواليـه، ثـم يغادرهـا بـلا عـودة، وتظـل خالـدة في خيالـه، وبعـد زمـن مـن الرحلـة، تكـون أكـثر حكاياتـه تشـويقا عـن الأماكـن التـي لم يرهـا قـط.

الطوق

منذ تركته وهو في الشارع، نادرا ما يأكل أو يشرب، تطارده كلاب الحي دوما، وإن لم يفعلوا يعذبه الأولاد، وهو الذي يهز ذيله ترحيبا، فيلاطفه قلة، ويفتك به الآخرون، فغالبا يقضي وقته ركضا، فصار هزيلا جدا، وشعره ملبدا متسخا دوما، فقد جاذبيته؛ رآه خبير بنوعه بزيارة للمنطقة، اقترب منه، فجفل، ظنه من الرجال أو الأولاد الذين يركلونه باستمرار، أحس بحنانه لما مسه، فاستسلم لمداعباته، إلى أن غافله وقيده بطوق حول رقبته، فظل يعوي دون طائل، وأخذه بعيدا عن الحي، وظل يعامله بلطف ويغذيه ويغسل ويشذب شعره، حتى جاء يوم فك قيده، وأسلمه لمن اشتراه، وأفهمه أنه كلب الأجنبية، فتهلل فرحا.

عابر

راح يغسل الأكواب بالماء القليل، وعيناه لا تغيبان عن الغريب، وفي نفسه حنق من كل هؤلاء الغرباء الذين يمرون عليه، ويحقرونه كزائدة، ولولاه لماتوا جوعا وعطشا، فهو الذي يجيؤهم بالطعام والماء والشاي والدخان، وكلهم يرونه كحصاة، أو صخرة من تلك الصخور الكثيرة المهملة علي أرض الجبل، يدوسونها جميعهم، ولا يأبهون لها، كلهم جاءوا هكذا، لا أصل لهم هنا، ولا فصل، كلهم عابرون، ما اختاروا هذه الحياة أبدا، وتسأل الواحد منهم من أين؟ بلاد الله، يوما سنرى، فبعد حين سينكشف السر، هم أنفسهم يذيعونه في حكايات السمر والليالي الطوال، إما قاتل ابن قاتلة، أو سارق أو مطارد بثأر، جميعهم لصوص وهاربون.

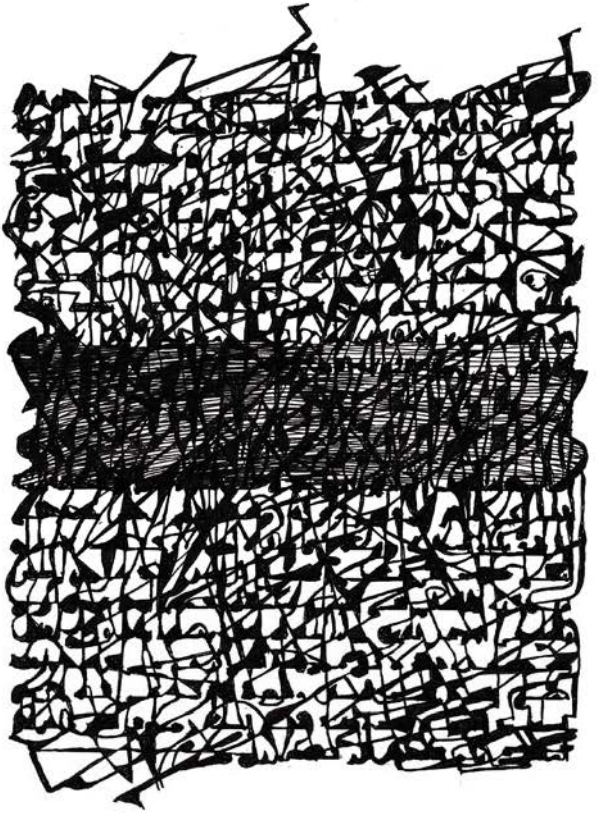

لسعة

صاحبته كما يسميها، على الأرض أمامه، تسمعه ولا تنطق، يصب فيها ما يعانيه، ولعلمه أنه لا أحد يعنيه أمره، فباتت حاملة أسراره، فلن تبوح بها أبدا، تحتمله في كل مواقفه، حين يكون سعيدا يأتيها، ولا يعيرها من الاهتمام كثيرا، ففي ظنه أنها على كل حال تسمعه صاغرة، ويهرع إليها حال غضبه وحزنه ويأسه، ويدرك أنها تصغي إليه أيضا، ما انتظرها لتكلمه قط، فدائما مشغول بالحديث إليها عن نفسه، مرة كان الليل باردا لا يطاق، فاقترب منها كثيرا، محاولا أن يستدفيء بها، فلسعته نارها، فصرخ حتى أنت حين تنطقين تلسعين؟ حينها رفعها عامل المقهى من أمامه، وجاءه بنرجيلة جديدة، ماؤها نظيف.

إغراء

تـرك خيمتـه، وراح يمـشي، الأفـق رمـال وصخـور، يفكـر مـاذا سـيقول لرئيـس البعثـة، وقـد خـاب ظنـه تمامـا، فما توقعـه كلـه كان مجـرد خيـال، فقـد في سـبيله سـنتين مـن التنقيـب، وكثـيرا مـن المـال، عـلى الأقـل عرفنـا مـا في هـذه المنطقـة، وأقفلنـا ملفاتهـا، فـلا نعـود إليهـا، وهـو يلـف عائـدا طـوح رجلـه بغضـب، فارتطمـت بصخـرة، تدحرجـت قليـلا، فكشـفت عـن صخـرة مثـيرة، فالتقطها، وبـدأ يتفحصهـا مـن كل جوانبهـا، كيـف لهـذا الصلصـال المطبـوخ أن يتواجـد هنـا؟ وأخـذ يحفـر بيديـه العاريتـين، صخـرة وراء أخـرى، حتـى بـدت كـوة منهـا لمـع شيء كالذهـب، أرجـع الصخـور كـما كانـت، ثـم عـاد لرئيـس البعثـة متجهـما، كلـما صرخ في وجهـه طأطـأ رأسـه أكـثر.

كشف

أخبروه أن كل من جاء الجبل أسماه جبل الشرائد، فكما تراه مأوى لكل شريد، لكن اسمه الذي يعرفه عن جده وجد جده جبل العرائس، ويقولون أنه كان هناك معبد، لم يعرف مكانه أحد، فيه بئر قديم من يشرب من مائه، يرجع شابا، ولو كان عمره مئة عام، وتكون له قوة ألف فارس، ولا يموت، ولا حتى ينام، وأن للمعبد كاهنات كلهن عذارى، ويقولون إن الجنيات تظهر أحيانا، وكثير من ضعاف القلوب يرونهن، فراحوا وما عادوا، وكثيرون أصابهم الجنون، بعدها بأيام بين اليقظة والنوم رأى فتاة تضع صخرة كمفتاح بكفه، صحا مبتهجا، وبعد يوم مجهد تعثر بحجر كان بعض درج مردوم.

بالون

بـدت الحانـة كما لـو كانت غواصـة، أخذتنـا برحلة قصيرة لعـالم غامـض، فغـدت الموسـيقى المحلية الصاخبـة غريبة، كأننـا نسـمعها لأول مـرة، حدثتنـي صاحبتـي عـن أشـياء عجيبـة تخـص صاحبـة الحانـة، كذلـك الطـاووس الحـي يتحرك بين الطاولات، وكلبيها العملاقين والنعامة، وأحواض السـمك الملون تسـتخدمها كطـاولات للزبائـن، ويبدو أنها تركـت البلـدة كأجانـب كثيريـن، ولكننـي تعجبـت مـن مالـك الحانـة، يتكلم العربيـة بلكنة أجنبيـة مضحكة، كما لـو كان غـير مـصري بالمـرة، وكأنهـا سـبة، ملامحـه وحركـة رأسـه وجسـده كلهـا افتعـال ومبالغـة، حـين حدثتـه عـن جـمال الموسـيقى التـي يديرهـا كمجاملـة، أظهـر تواضعـا فارغـا، تسـتطيع مـن خلالـه أن تـرى رقبتـه قـد اخترقـت سـقف الحانـة الفقـيرة، ورأيتهـا كبالـون انفجـر بالهـواء.

جبن

كان أبوه يجمع أصحابه آخر الأسبوع في سطح المنزل المفتوح، ويفترش الجميع الأبسطة المزركشة، تحت سماء رائقة لليل صيفي ونسمات وادعة، يشربون، ويدخنون، مستمعين لأجمل الأغاني القديمة، وكان صغيرا، يستمتع بما يضعونه من طعام مع الخمر، خاصة ذلك النوع من الجبن اللذيذ لا غيره، لما شاخ الأب قل الرفاق، لكن ظل الشاب يستمتع بالجبن نفسه بشكل غير عادي، ولا يأكلها أبدا إلا آخر الأسبوع، لما مات الأب وأصبح الابن رب أسرة، ظل السطح ملاذه الأخير، ما أحب الخمر يوما، وحاول شربها، لم تصبه أي لذة منها، فتوقف عنها، ولكنه كل نهاية أسبوع يعود لزوجته مخمورا تماما من أثر ذلك الجبن.

شفقة

أفاق من قيلولته تحت الشجرة الكبيرة بغيطه، في الهاجرة، لا شيء يتحرك تحت شمس الصيف القاسية تلك، رأى ذئبا كبيرا يقترب من طعامه بسلة الخوص، فبحث عن الفأس بعينيه، رآها مستندة بعيدا في ظل جدار حظيرته الخالية، لكنه وجد عصا غليظة قصيرة في متناوله، فقبض عليها بقوة، راح الذئب يلحس الملح، ثم نظر إليه في براءة، والتف ببطيء ورحل، أحب تلك النظرة أو ربما أشفق عليه، وبعد أن تأكد من ذهابه، قام إلى الفأس، فلمح الذئب يبتعد، ونظر لسلته، فوجده أكل الملح فقط، فصار كل يوم يأتي بملح كثير، وصار الذئاب أصدقاءه، حتى رآهم أحدهم، فصارت القرية تسميه أبا الذئاب.

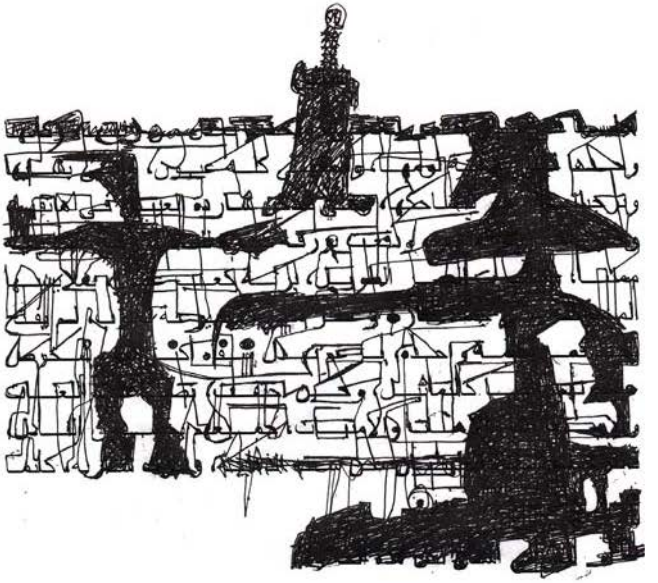

طير

عاد إلي الخيمة، وإذا بالنار التي تمنع الذئاب صارت رمادا، والنور قد لاح، والشخير يتعالى، وصاروا يتقلبون أكثر فأكثر، وقد آوي إلي ركنه فاردا ساقيه، وعيناه معلقتان في سماء الخيمة، وإذا بخيال فتاة يملأ باب الخيمة، لحظة ثم تمضي، ركض خلفها، ليراها وقد صارت طائرا أخضر سندسيا، برأس فتاة بديعة تحلق في زرقة سماء، لم ير أصفي منها قط، وظل يركض تحت ظلها النوراني في الحصي والصخور، حتي وقع علي وجهه، ليفتح عينيه ليرى رئيس العمال بوجهه المتجهم المنحوت، وشاربه الكث الأشيب، وحاجبيه المتقطبين تحت عمامة بيضاء جليلة مهابة، هاتفا فيه: أرأيت كابوسا؟ وحد الله وقل يا رب.. هيا للعمل..

حكاء

يأخذكَ السفرُ ثرثارًا، هاربًا من القذف والتفجيرات، ومطاردات السيوف، والألغام، وإن نجوتَ، وعبرتَ الأسلاك الشائكة والمكهربة، وركض الجنود والرصاص خلفك، وزحفت في البحيرات وغابات الطين والجليد أياما بلا طعام، وبلا وجهة؛ واجتزت حرائق بلادك السابحة في الدم، وغرقت مرة أو مرتين بقوارب الموت، يمكنك بعدها أن تظلَّ وحيدا بذلك المخيم، الذي أحرقه مرةً بعض العنصريين، وغيرُهم ممن لا يريدونَكَ؛ ويرفعون الرايات ضدَّك؛ سيرجعُكَ السفرُ حكَّاءًا شرِّيرًا، تخْبِرُ كلَّ شيءٍ بحروفٍ قليلةٍ، أو ربما بدونها، على رصيفٍ نظيفٍ، ستنصت إليك الريح، ربما يقتلك البرد أو الجفاء، فيغطونك بالجرائد، ويرحلون، ويطويكَ تابوتٌ باردٌ أنيقٌ، كأنك ما كنت غريبا قط، تستأنس بثرثرة الصحف.

الثلج

ظل يفكر في الثلج، وكيف سيكون ممتعا اللعب بكرياته، والتزلج عليه مع الشقراوات الحسان، والانغماس في بياضه الجميل، بكرسيه بالطائرة وأول سفرة له، جَلَسَتْ بجواره، فتحدثا هكذا ببساطة دون تكلف، وكان خجلا، فما اعتاد أن يتحدث مع النساء اللاتي لا يعرفهن، وحين دخلت الطائرة المجال الجوي لتلك البلاد الشمالية، استطاع رؤية الأسقف الهرمية الحمراء الباهتة للبيوت تحته برغم الغيم والسحاب، ولاحظ تغيرا على الشقراء، لما نظرت للمدينة، فسألها، فأخبرته بحزن إنه الثلج، فبدت عليه بهجة أحس أن المرأة استهجنتها، ولم يدر سببا لذلك، وفور نزوله من الطائرة كاد أن يودي بحياته، فلم يحترس فانزلق ممددا على ظهره فوق الجليد الرمادي.

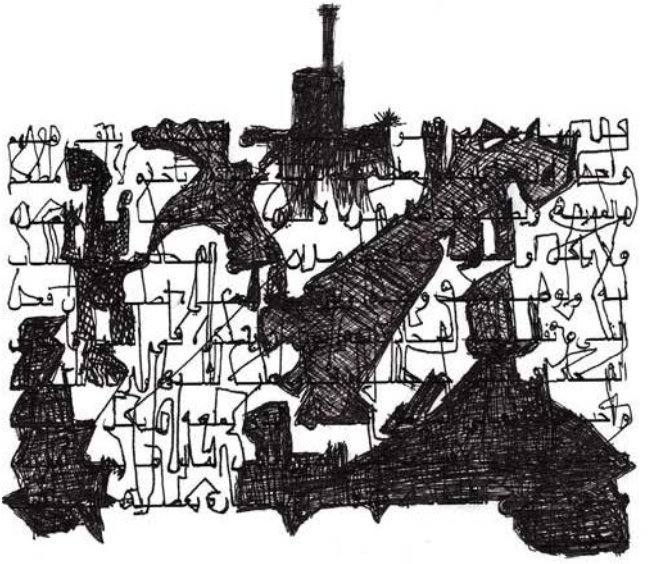

إيمان

كان مقتنعًا أن الإنسان يمكنه أن يتكيف مع أكثر الأشياء قسوة ووحشية، وأن بداخله قوة لا يحدها شيء، ولا يمكن مجابهتها في بعض الحالات، وكان يردد إن الإيمان يمكنه أن يحقق المستحيل ذاته، فكان دائما يرتدي ملابس ليست ثقيلة في شتاء الشمال الثلجي، ولا يشعل التدفأة حتى حين تهبط الحراة دون الصفر، ولا يغير نوعية تلك الملابس، أو نمطها، ولا يتصبب عرقا في الصيف القائظ للجنوب، وكأنه يعيش في ربيع مبهج، لا يهاب شيئا قط، دائما تشعر فيه الجرأة في غير غلظة ولا بذاءة، ملامحه وادعة هادئة ويبتسم طول الوقت، وحين اختفى فجأة، عرفنا أن الاكتئاب قتله وحيدا في المستشفى.

كمد

منذ هاجر لتلك البلاد الباردة، وهو لا يستطيع النوم، إلا حين تشرق الشمس، ويرى الناس يتراكضون لأشغالهم، ربما لأنه منذ غادر بيته وأهله، والتفجيرات والرصاص والقتل المجاني لا تبرحه، فلا يغمض جفنه، مخافة أن تأتيه الكوابيس المميتة، وما تركته أبدا، على طول مقامه في تلك البلاد البعيدة، يسير في الشوارع متلفتا طول الوقت، حذرًا أن يكون هناك من يتبعه، وحين يدخل شقته الصغيرة، يحكم إغلاق مئة قفل خلفه، ويطل من وراء ستار شرفته الزجاجية، كفعل روتيني كل صباح، ليرى حركة الشارع، ولشد ما تكون كآبته في الشتاء الجليدي، وكل شيء رمادي بغيض، ولا أحد هناك أصلا، فينام مرغما، ويصحو كمدا.

ملامح

جلس في بهو الفندق قبل الموعد، ينتظر مشتتا لا يدري لماذا، جاءت طليقته ومعها ابنهما العشريني، بملامح غربية تماما، وكأنه صدم، فلم يره منذ أن كان في الرابعة من عمره، وكأنه كان يتمنى أن يحمل بعض ملامحه الشرقية، قابله الفتى ببرود وقلق واضح، وبعد ساعة أو أقل، بدأ الفتى ينظر للساعة في ضيق شديد، ومال على أمه وأخبرها شيئا، بعد ذلك بقليل، انتحى بطليقته وسألها عن ضيق الفتي وقلقه، فأخبرته أنه ينتظر عشيقته التي ستأتي بعد قليل، وأنه لا يريد أن ترى أباه ذا الملامح الشرقية، فتركهما من فوره، وراح يلملم أغراضه وملابسه المبتلة، وترك المدينة ولم يعد إليها قط.

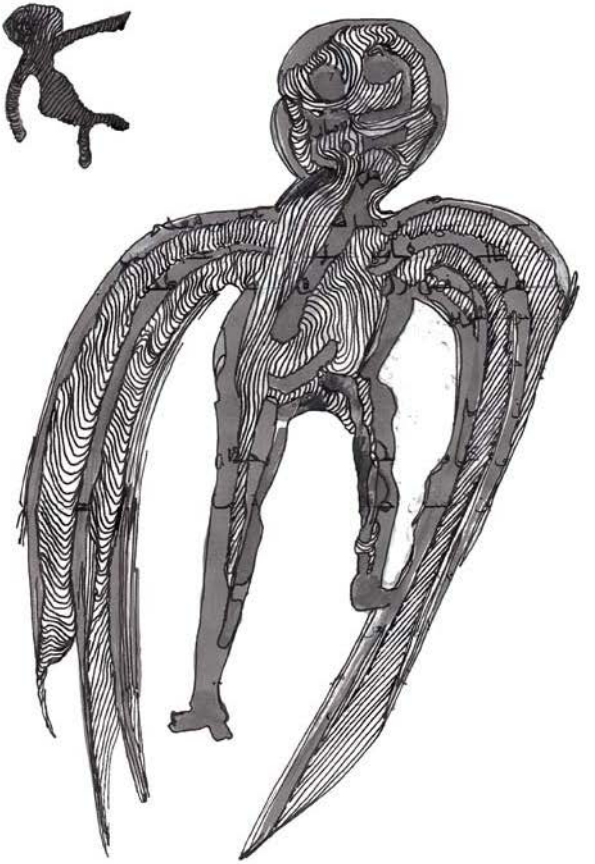

تفاحة

جلسنا في قطار الضواحي بتلك المدينة الجليدية، ومضى القطار مسرعا بين التلال والمروج والثلج المذاب، في إحدى المحطات جلست امرأة أمامنا، بملابس غريبة، وشعر بنفسجي، وحلى وقلائد كلها جماجم، فرحت أتأملها، وهي تبتسم ابتسامة أشد غرابة من هيئتها، ولاحظ صاحبي المقيم في تلك البلاد، فقلت إن شكلها غريب، فقال كل ما في هذه المدينة غريب يا صاحبي، فتلك التي تبتسم لك، يمكنها أن تخرج من جيبها مسدسا وتفتح النار علينا، وأنا أتأملها وأنظر لرقبتها التي غطاها الوشم الشيطاني، رأيت تفاحة آدم بحجم كبير، إنها رجل.. انظر.. وصاحبي يهدأ من روعي، اقتربت منا وأخرجت المسدس، والتفت وغادرت القطار ضاحكة من رعبنا.

سم سم

ربما في التوقيت نفسه الذي تركته فيه امرأته الأولى كل شتاء هكذا تماما، فور سقوط الثلج يكون في حضن امرأة جديدة، وحين يفشل، يدخل المستشفى، حتى الربيع لا يفلح في إخراجه منها، وحين يخرج كالدب الشائخ مع أول شتاء، يصحب أول امرأة يلقاها، وفور هبوط الليل، يسجد عند قدميها مقدما إليها نفس الخاتم، في نفس الحجرة، ويناديهن جميعهن بالاسم نفسه، مجرد حرفين يتكرران، يصلح نصفه أن يكون طريقة للموت، والذي كانت امرأته الأولى تكرهه، ولا تدري ماذا يعني، صادفها ذات مساء فنادها به، فالتفتت، ضحكت ومالت عليه، لقد عرفت معنى الاسم في لغتك، فابتسم بمرارة ومضى، وظل وحيدا بقية عمره.

نشيج

أعاد ضبط مؤشر الراديو، لم يعثر على شيء، كل الإذاعات بلغة البلد التي استقر فيها مؤخرا، تركه وأعد الشاي وبعض طعام على طريقة بلده المحلية، واستطاع أن يدفيء جسده، وأكد لنفسه لا بد أن أتخلى عن عادتي تلك في الاستماع للراديو، غدا سأجمع بعض تسجيلات الأغاني التي أحبها، وسأظل أسمعها ليل نهار، وراح يلعب في المؤشر ثانية، جاءه صوت أغنية يعشقها بلغته، راح يغنيها بصوت عال، شاردا في محبوبته التي أرغم على تركها، وما مضى، وتذكر ساعة السفر، وهبوط طائرته على تلك الأرض الممطرة الغريبة، بعد دقيقة انقطع البث، وجاءت نشرة أخبار المآسي في بلده، قذف بالراديو للحائط، وراح يبكي.

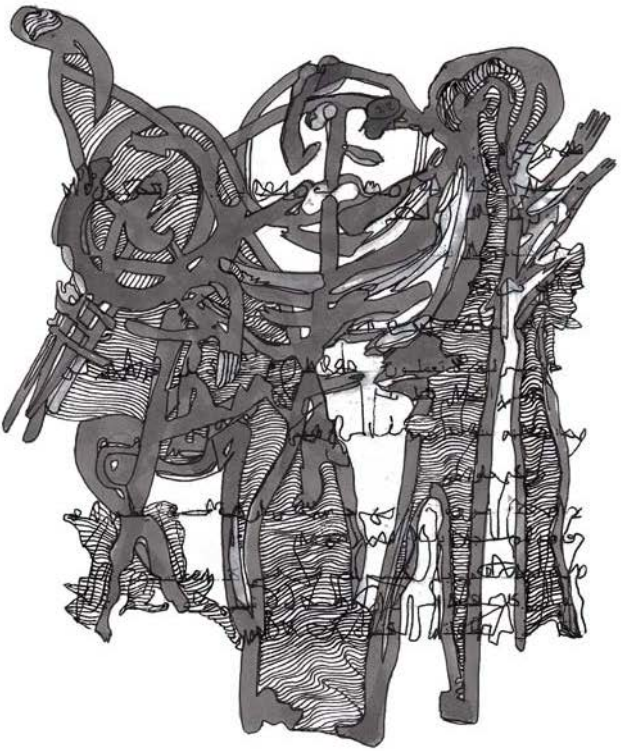

حدس

كلما جلسنا في مقهى في الشارع وتزدحم العربات ينتابه القلق، ويصفر وجهه، ، فيقوم ويتركنا لبضع دقائق، ثم يعود، في باديء الأمر لم أدرك سببا لما يفعله، ولما تكرر ذلك سألته، فأخبرني قائلا أنت تعلم أنني جئت من بلد مزقته الصراعات، وعشت في تلك المدينة التي أكلتها التفجيرات والتصفيات، فكلما جلسنا في الشارع، ورأيت العربات تتوقف وتتزاحم خلف بعضها لأي سبب، أتيقن أن هناك تفجيرا محتملا، سيارة مفخخة أو إطلاق نار قريب، ودما سيسال، فينتابني الذعر، ربما يتغير ذلك بإقامتي هنا مدة أطول.. سافرت زمنا، ولما عدت سألت عنه، فعرفت أنه الوحيد الذي قتل بتفجير إرهابي كبير في مدينة صغيرة وادعة.

ألوان

كنت أنتظر طائرتي أمام بوابة الإقلاع، في أول مدينة أوروبية زرتها، قبل عيد الميلاد بأيام، بقربي جلس رجل وزوجته وطفلهما، ثم تركهما الرجل لبرهة، جاءت فتاتان، واحدة بزي بابا نويل، وأخرى بقرون حمراء مضاءة على رأسها، بدأتا بملاطفة الطفل، الأم تتحدث معهما، وتمسك بيدي الطفل، حذرة أن يمد يديه للحلوى أو الشيكولاته، التي يقدمانها، ووجه الطفل كله رغبة وضيق، فأخرجت فتاة كتابا للتلوين، وألوانا كثيرة، فأمسكت الأم بالدفتر، تاركة لطفلها الألوان، ما إن انصرفت الفتاتان، حتى ذهبت لسلة المهملات القريبة ورمت الدفتر، وعادت وأخرجت من حقيبتها دفترا جميلا أعطته لطفلها، وعاد الرجل معتمرا تلك القبعة الصغيرة السوداء، في زي حاخام.

نموذج

وقفنا في زحام الترام أمامه مباشرة، رائحته نفاذة، كأنه زجاجة خمر فتحت من فورها، ملابسه متسخة، وتكاد تذوب من تلقاء نفسها، فحاولنا الابتعاد عنه، ولكن ما من مساحة، وفاجأني الزحام كأنني لم أعتده يوما، فمنذ جئت لتلك المدينة لم أصادف الكثير من البشر أصلا، فرحت أتأمل ذلك الرجل الأشيب الذي أمامنا، وتطابق في رأسي شبهه بأناس غربيين رأيتهم إما سياحا أو يعملون في بلادنا، فقلت لصاحبي أتعرف لو أن ذلك الأبله السكير، هندم شعره ولحيته، وغير ثيابه، سيكون له شأن في بلادنا، وربما أدركه الثراء، قال صاحبي هناك كثيرون أمثاله، جاءوا بلادنا هكذا، ثم صاروا أصحاب عمارات ومزارع ومصانع وحوانيت.

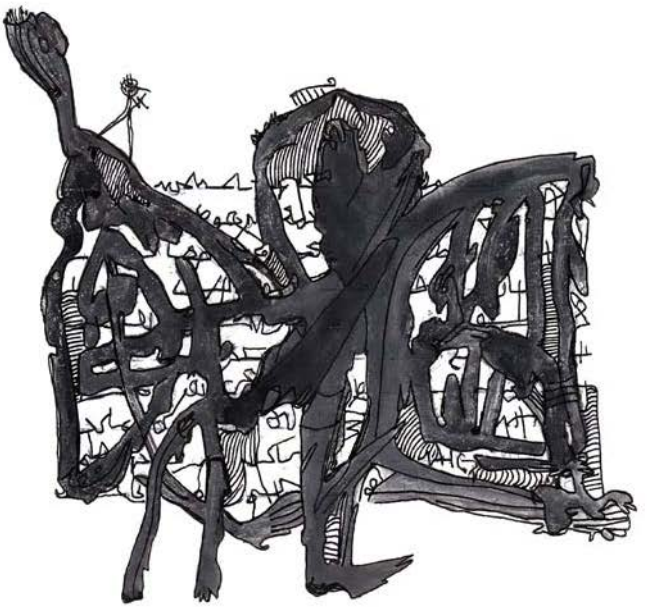

اتجاه

تهت مرة في إحدى المدن الثلجية ليلا، مع أني كنت أحمل خريطة، كلما تفحصتها وجدتها تدلني شمالا أكثر، وبعد منطقة خضراء مظلمة قليلا سأجد شارعين، ثم ذلك المبنى الكبير، مشيت في الثلج كثيرا، ووصلت للمنطقة المظلمة، ساعتها انشقت الأرض فجأة عن شرطي، فتحسست جواز سفري فورا، أريته الخريطة، وأشرت للمبنى الذي أقصده، أمسكها وقلبها رأسا على عقب.. سيدي.. ما تقصده تخطيته بكيلومترات خلال تلك الأبنية قيد الإنشاء.. عكس الاتجاه.. معي خريطة أكبر.. وبضوء كشافه أراني الطريق الصحيح عليها.. ورفع يده بالتحية العسكرية، مرحبا بك في بلادنا.. شكرا لك.. بكيت وقتها، ولعنت خوفي من رجال الشرطة وملابسهم العسكرية في عالمنا الثالث.

الشمال

هبطنا أنا وصديقي من القطار بمدينة في الشمال، كانت أول مرة أرى الثلج فيها، كنت أحسب الجليد يجلب البهجة، ولكن صدمني الصقيع الذي يجمد الشوارع والناس، المحطة مزدحمة بكل أنواع البشر، هناك شاب أسود يرتجف تحت سقف المحطة، أمامه كوب بلاستيكي يتلقى فيه العملات، حين هممت بوضع عملة في الكوب، فجأة ساد الهرج والكل يجري، إذا به يمسك بالكوب، ويفرغه بجيبه ويركض، فركضت معه بالتبعية، لما لمحت الشرطة تركض خلف جمع غفير من السود، وصديقي يركض خلفنا، وبعد مسافة استوقفني.. لِمَ تركض؟؟ أوليست أوراقك سليمة؟؟ أمعك جواز السفر؟؟ حقا.. لِمَ أركض؟! يا صاحبي لست أسود مثلهم.. وليس لديهم أوراق مثلك.

الحلم

لم أجد يوما أرضا أزرع فيها حلمي في بلاد الناس، لم أكن لاجئا قط، ولكنني مهاجر كما يصفونني، لم أفلح في الحب أيضا، فلا وقت لدي، وإمكانية الهدوء معدومة، وحيد دائما، كل ما استطعته هو الانتقال، والحفاظ على تلك الإمكانية المتاحة، مطارد أنا، ليس من أي شرطة في العالم، ولكن من نفسي التي لم تجد يوما فرحها، هارب من حرائق أرضي وحروبها، لحرائق روحي التي لا تنتهي، ولم أستطع إطفاءها أبدا، وكل مساء على أي سرير بأي مدينة، حين أضع رأسي على ما توفر من وسائد، تحضر بلادي، فأبكي على الذي غربني، وأنام، لأجد حلمي الوحيد أن أموت في أرضي.

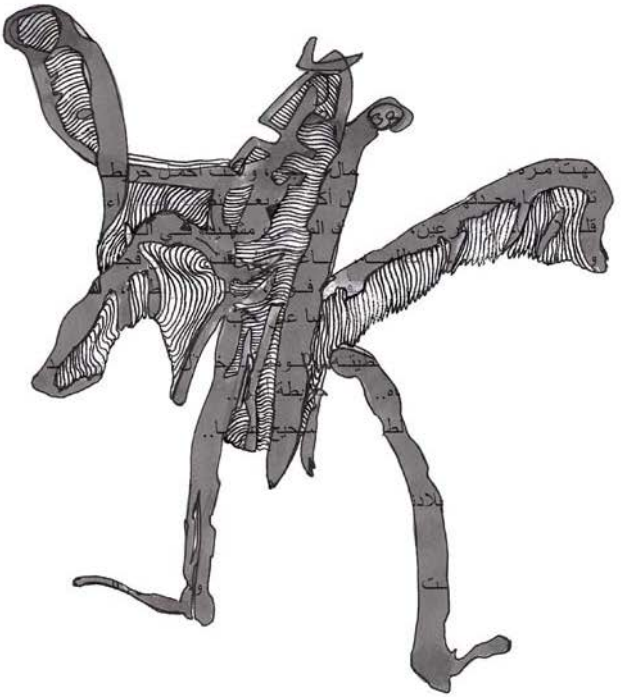

حوار

- متى ستدفيء سريرك؟ العمر يمضي يا بني، لم تعد صغيرا..

- لكن لي أحلامًا كبيرة يا صاحبي، لا أرى فيها واحدة بعينها، إنهن يأتينني في منامي جميعهن، من أرغب منهن، ومن لا أرغب، يجئن في أروع صورة، طيبات، ولا يضحكن بخبث، ولا بصوت شرير..

- لكنهن حلم..

- هنَّ لسْنَ وهمًا أيضًا..

- أفق يا بني، كل صباحٍ يذهبن ويتركنك وحيدًا..

- إنهن يذهبن ليغسلن أجسادهن الشمعية مما يشوبها من الحديث معي..

- فيمَ يتحدثن إليك؟؟

- هنَّ لا يتحدثن، إنما يستمعن إليَّ..

- أرأيت ما تتوهمه فيهن، إنهن من صنع خيالك..

- يا صاحبي.. أين أنت؟ أين.. أنا؟

وقت

وقفا قبالة البناية الجميلة، لما نظرت لجمال المبني عبر يديه، وحين رأى حنان الدنيا يتجسد في عينيها، رفع ذراعه نحوها، وخطا خطوة واحدة باتجاهها، رفعت يدها لذراعه، وخطت خطوة، فتحا البوابة معا، وراحا يجوبان الممرات والردهات والحجرات، وعاشا في كل غرفة وقتا، ما بين غرف الصمت والضحك والبكاء عاشا، وبعد زمن احتاج الرجل لغرفة يبقى فيها وحده، ساعدته وأبقته وحده، ثم عاد، احتاجت تلك المرأة أن تبقى وحدها وقتا، ساعدها، وعادت، مرت بإحدى الغرف امرأة أخرى، أقل بدانة وأكثر مرحا وحلاوة، لعب الرجل معها وقتا، وألقاها، وعاد لامرأته، حتى وصلا لسطح المبنى، تعانقا، قبلته، وقبلها، ثم طارا معا في الهواء.

الوردة

ممسك بوردة في يده وسط الزحام، عينه على البنات، يروح معهن، ويرجع معهن، على الرصيف نفسه، لا يفتح فمه بكلمة، ولا ينظر إليهن، ملابسه فقيرة لكنها نظيف، مشعث الشعر، لحيته تنبت خفيفة على ذقنه، وكأنه اعتاد أن يحلقها، ولسبب ما لم يفعل، مبتسم طول الوقت، وكأن ابتسامته البريئة مرسومة على وجهه المكفهر، يقترب كثيرا من البنات، ولا يمسهن أبدا، كثيرا ما تفزع بعض البنات نظرته الحادة الرامية إلى البعيد، وكم من بنت صعقت حين تتصادف عيناها بعينيه، حين يمشي بجوار البنت تخال أنه سيمنحها وردته الوحيدة، ولا يفعل أبدا، لكنه مع غروب الشمس يعطي وردته لأي عجوز، ويذوب في الزحام.

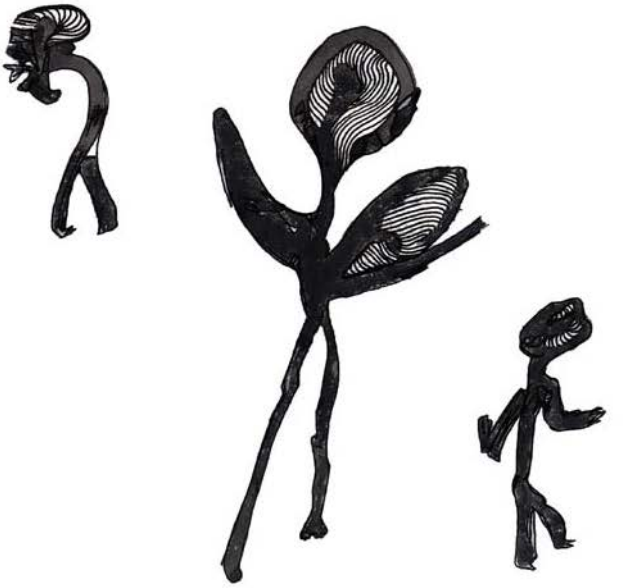

طيف

يـا لهناءتهـم في نومهـم، انظـر لهـذا الوجـه اللحيـم في ابتسـامته، وآخـر كأنمـا يناغـي امرأتـه، ويروادهـا عـن نفسـها، فيقبلهـا بصـوت جهـوري، كأنـه يرسـل قبلتـه لهـا بالأثـير حيـث كانـت، وذاك الممـدد عـلى ظهـره وجلبابـه يعلـو بوسـطه، وبـين الحـين والحـين يتقلـب عـلى بطنـه، ويرتفـع الشـخير والعـواء والنعيـق وهسـيس النـار، ومـع لفحـة هـواء قويـة، لا تـأتي أبـدا في قيـظ ليلـة صيفيـة كهـذه، إذا بخيـال نـوراني، لفتـاة بـرداء أبيـض، في نظـرة مشـفقة، مـن عينـين لامعتـين في وجـه مـضيء مسـتدير مصقـول، وشـعر ذهبـي مضفـور، وشـفاه ورديـة مكتنـزة لامعـة، كعـروس ليلـة زفافهـا أرعبتـه طلتهـا، فقـام يركـض خلفهـا فـوق الأجسـاد، ليراهـا تتـلاشي مـع زرقـة أول ضـوء لنهـار وليـد.

الشيخ

في غمرة فرحتها تنطلق غير عابئة بشيء مما يقولون، تركب الدراجة النارية، وتضحك بصوت يهز المقهى كشيخ قبيلة، وتدخن النرجيلة، أكبر مدخن لن يستطيع مجاراتها، وأحيانا يسقط الرجال حولها بأثر الماريجوانا، بينما هي تواصل السهر، وصباحا يدها بأيديهم، وفي النهاية يجدون أنفسهم خلفها، تعدل بنطالها أمام الجميع ولا تستحي، وحين اشترت شالا، أجمع الكل أنه ليس لها، وإنما للرجال، فأكدت أنه يعجبها، فصاروا ينادونها باسم الشيخ، فغدت تسلم على الناس بقبضة كف تليق بشيخ شديد، وحين تذهب لخيمتها بالأخير، تأخذ معها الخمر، يأتي صدى كلمات الرجل الوحيد الذي أحبته بقوة برأسها، لكنك نسيتِ أنك امرأة، فترمي بالزجاجة لأقصى مدى، وتنام.

السُّلَّم

ركض طفل تائه في ردهة المستشفى، وكان يجلس عند حافة السلم يدخن سيجارة بعد نجاته من حادثة كبيرة، بحياة محطمة، جلست هي أيضا بالسيجارة، كلها أربطة وجروح، وحياة مفزغة، التقطا معا يد الطفل، وفي إثره أتت أمه، قبل أن يتركهما، أفلت من يد أمه، وراح إليهما يعقد يديهما، نظرا كل إلى الآخر بابتسامة أقرب لخلاص من يأس قاتل، ما من كلمة يمكنها أن تختصر ما قالاه من غير حديث، مضت إلى غرفتها، وصارت لا تستطيع الحركة، وغدت تدخن على السلم مرة كل أسبوع، فأصبح يأتيها عند سريرها كل مساء يلقى نظرة، ولما أفاقت من غيبوبتها، ذهبت لغرفته، أخبروها أنه توفى.

جرس

وصل الفندق آخر الليل متعبا، فنام فورا، ثم صحا فتناول إفطاره متعجلا، وخرج وعاد آخر النهار، لم يلحظ شيئا غير عادي بتلك المدينة السوداء، وبعد الغداء استعد للخروج، بضع خطوات بجوار الفندق، وقف شيخ يحمل جرسا صغيرا، تفحص الوقت، ثم بدأ يقرع الجرس، وينادي موعد الحب، فوقف يرى ما الذي يحدث، وجد بعضا من الفتيات الأوروبيات البيض، وكثيرا من الرجال السود حولهن ينتظرون معا، بمجرد انطلاق جرس الحب يتحدثون، ويقفون مع بعضهم طويلا، وينتهي الأمر بأن يصحب الفتى الأسود فتاة بيضاء صغيرة، في اليوم التالي حدث الشيء نفسه بالتوقيت ذاته، في يومه الأخير بالمدينة، وجد نفسه ينتظر الجرس ضمن الآخرين.

قديس

وجدها مكسورة إثر علاقة حب برجل كان يكتب كثيرا، وينشغل عنها طويلا، ولا يريد لها أن تقرأ أبدا ما يكتب، لما انتحر، أخذت تجمع كل ما كتب، وتعلقه بكل مكان من شقتها، وأفزعها كيف أنه قبل عام واحد من وفاته تنبأ بشكل دقيق جدا بطريقة موته، وبرغم ذلك أغرقته بحبها، وحفظت الجميل أنه يحتملها، ولا يتذمر أبدا، ويتقبل كل شيء بهدوء، وتفهم حقيقي، يليق بعاشق كبير، وهو على يقين من حبها له، برغم أنها دائما تحدثه عن حبيبها المنتحر، ويحزنه أكثر أنها حين تكثر من الشراب، تردد كلمات ذلك المنتحر، وتناديه باسمه، وحين تفيق تسأله كل مرة.. هل فعلت؟؟ فيبتسم.

خيال

عرفت امرأة بألف احتمال، في الصباح الباكر أنثى رشيقة بغير زينة، جمالها أخاذ، لكنها حين تتكلم تخرج كل أبخرة الخمر وأدخنة سجائرها، كمدخنة مصنع كبير، مع أن كلماتها في غاية الرقة، وفي الضحى لها ألف يد تلعب بكل شيء، وتغوص في كل القلوب، وعند الظهيرة تنام كجمل عجوز نحل وبره الزمن، وعصرا تدور عيونها كالثعالب، وحين يأتي الغداء تأكل كالأفيال، وفي أول المساء حاملة كطفلة لم تزل في مهدها، وحين يهبط الليل تصير ذئبة، يمكنها أن تضاجع الليل نفسه ولا تمل، وحين تنام تبدو كقطار معطل يملأ الدنيا ضجيجا ودخانا، إنها مجرد امرأة يكبر خيالها برأسي كل ليلة في حلمي.

استراحة

لا أفهمها حقا، هي تتدعي حبك، وتتواصل معك بحميمية لا تظهرها أمام الناس، ومتزوجة بغيرك، وبالوقت نفسه، تنشر صورها مع آخر غيرك وغير زوجها على وسائل التواصل الاجتماعي، وكل منكم يعيش بمدينة مختلفة، ولا أدري لماذا ليست المسألة واضحة لك، زوجها من الواضح أنه مغفل، والآخر رئيس العمال لديها، وقد رأيته معها في مدينتك غير مرة، وعندها أدركتَ أن شيئا أكبر من العمل بينهما، أما أنت.. فمن تكون؟؟ ربما محطة للاستراحة بين زواج بارد حتى الملل، لكنه مستقر، وعلاقة عمرها شهران كل سنة، فحتى إن تركت زوجها وتزوجتك، أتأمن لمن خانت زوجها لأجلك ألا تخون ثانية؟ وماذا عن رئيس العمال؟

هي

حين رآها ثانية بعد سنين، عرف أنها هي، كانت تأتيه كل ليلة يرقصان معا ويضحكان، تلك المرة في المقهى جاءت أكثر بدانة وبشعر لونه تغير، فقال لنفسه اصبر علها ليست هي، بعد سنتين طوال أخبرها أنه جاء متأخرا، وبعد خمسة عشر سنة في حلم كل ليلة ظلت تأتيه بشعرها مختلف الألوان، تأكد تماما أنها هي، لكنها لم تكن متأكدة أنه هو، ولما احتضنته، سألته من أنت، قال أنا الذي كنته يا حبيبتي، قلت لك كثيرا ولم تسمعي، حتى كففت عن القول، وقلت الحب سيتكلم يوما، ولما تكلم الحب أنكرتني، وتزوجت وعاشت سنينا تروح بالحلم وتجيء، وهو مستقر مكانه في المقهى.

لحظة

الأطفال يلعبون بعيدا في الحديقة، في ضفة المنزل الأخرى جلست وحدها تنظر للسماء، فجأة جلس بجوارها الرجل المسن محبوب الأطفال، ابتسم بود لها، وضع يده على كتفها بحنان، ويكلمها بما لم تفهم عن الحب، ويكرر جملة بلاستيكية، كأنه يحفظها عن ظهر قلب إنني أحبك، وبدأت يده تهبط تحت ملابسها، وهي مشدوهة لا تعرف ما الذي يعنيه، وعيناها للسماء، قبضت يده على نهدها البريء، وأخذ يقبلها بحرارة عاشق، لم تنتفض وكأنه قتلها، لحظات وفارقها جثة، ظلت لثلاثين سنة تسلمها لكل رجل يمر بها، طامعة أن تعيد الحب الحقيقي للحياة، بأنفاس أجسادهم، لكنها تدرك تماما أنها ترقص معهم على جثة الحب مثلهم.

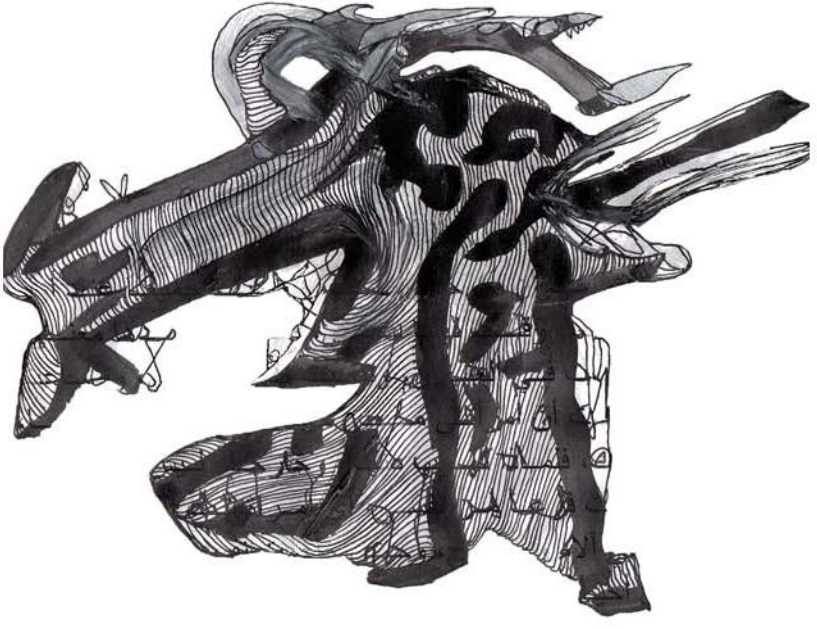

إخلاص

يا لغرابتها من امرأة، يمكنها أن تسقط عنه حزن سنة كاملة بمجرد نظرة، وتبدو أكثر ثقة من هذا كل عام، وتتركه فارغا تماما إلا من التفكير فيها، مع أنها تفعل الشيء نفسه بمدنها التي تعيش وتتنقل بينها طول السنة، تلك المرأة تجيد تقسيم الوقت بين عشاقها الثلاثة، في مدنهم الثلاث، لكل منهم وقته ومدينته، التي تدرك تماما استحالة أن ينتقل أيهم لمدينة أخرى من مدنها، في منتهى الإخلاص لكل منهم على حدة، وتعطيه كل وقتها، كأنه الوحيد في حياتها، وتشعره بذلك دائما، وحين يسألها متى سنبقى معا طول العام، تنشغل فجأة عن المسألة، وتمنيه بالتفكير في الأمر في عامها القادم.

مأوى

مـر عـلى بابهـا محرومـا، متعبـا لا يقـدر عـلى شيء، فتحـت بابهـا آوتـه، نـسي مـا جـاء إليـه، وأحبهـا، بـكل تناقضاتهـا ووهمـه، تعلـم منهـا الكثـير، وتعلمـت منـه أكـثر، نفـض عنـه الغبـار، وأخـرج نفسـه مـن صنـدوق تذكاراتها المـلآن، أصبـح عاجـزا عـن الحركـة، نظـر حولـه، لم يجـد أحـدا، سـوى التـذكارات الميتـة، حـاول أن ينفـخ فيهـا الـروح، مـا وجـد في نفسـه روحـا، ظـل يـدور في بيـت الذكـرى، أضـاء كل الشـموع المتاحة والأنوار، أشـعل الموسـيقى، فتـح كل النوافـذ والأبـواب، ومـا جـاء الهـواء، ظـل هامـدا عـلى كرسـيه، كخرقـة باليـة، نـام وصحـا وجد نفسـه لم يفـارق خزانـة التـذكارات، هنـاك خلـف الزجـاج يحلـم، وهـي رائحـة غاديـة حولـه بالتـذكارات الجديـدة.

تلاعب

فعلت ما في وسعك، لكنك جئت متأخرا كما قلت، فقد تزوجت بالفعل، كان قرارها، قبل ذلك لم تكن تعيرك أي انتباه خاص، مجرد رجل ضمن مجموعة تقابلهم أحيانا، ما من شيء مميز لديك لتفكر فيك، كنت بالأيام الأولى لمعرفتك بها تشيد الأوهام، ولم يكن لديك شيئا يقنعها بحبك، عدا الأحلام، هي الآن متزوجة، وتقول لك أحبك، وأنت بالمثابرة حققت كثيرا مما تصبو إليه، فمتى ستفجر القنبلة الأخيرة؟ وتخيرها بين أن تترك زوجها وتبقى معك، أو تقطع صلتك بها تماما؟ برغم تأكدك من أنها لن تسمح لك بالخيارين، وستبقيك معلقا كما أنت تتلاعب بك الرياح، ربما ستشيخ أو ستموت ولن يحدث.

حسابات

منذ عرفها، لم ير امرأة غيرها، حاول أن يبدأ حياته مع غيرها، بدل في حبها نساء كثيرات، كن نسخا مصغرة منها، ومهما ذهب يرجع إليها، هي ذاتها قدمت إليه بعض نساء، لظنها أن ما يعانيه مجرد وحدة، ويفاجئها دوما بإخلاصه لحبه لها، مع معرفته اليقينية أنها اتخذت مسارا لحياتها لن تحيد عنه، ولأنها لم تدرك أنه يحبها في بداية معرفتهما، تزوجت بغيره، وظلت تلقاه، ويلقاها بإخلاصه، حتى اقترب منها جدا، فلم تعد تستطيع إنكار حبه، فخاضت المغامرة، لكنها وهي التي دربت على المغامرات غير المحسوبة، إلا معه، ظلت تعيد حسابتها كلما لقيته سنة بعد سنة، حتى شابا ولم يتغير شيء.

مسافة

تركت نفسها لكل عابر في حياتها، كورقة في الريح، باحثة عن الحب الذي قتلته يوما ما، ربما الحب هو من مات في روحها، فغدت تعذب كل من اقترب منها، تصطفيه كثيرا، وتعطيه من جسدها ما تحب أن تمنحه، وفي النهاية التي تتركها دائما مفتَّحةً، مشرعةً على كل احتمالات الموت والحياة، لا تتركه يصل إلى اليأس منها، دوما تغريه بالأمل، بارعة جدا في تسخيره لتلبية ما يحتاجه جسدها الذي لا يشبع من الغرائز، ومن النشوة المطلقة التي تغرق في جذوتها كل عاشقيها، فلا هم شبعون، أو يصلون لشيء، تمزقهم، وتبقيهم دائما على مسافة منها، كافية لاشتعالهم، ودائما في بحث عن جديد.

وهم

عـرف بعـد ذهـاب العمـر أنهـا محـض جسـد، روحـه ضائعـة، حـاول أن يجعلهـا تتنفـس، لا تريـد، ولا تفكـر بذلـك عـلى الإطـلاق، مجـرد جثـة للحـب، تنتقـي عاشـقيها، جميعهـم في فلكهـا يسـبحون، كحياتهـا الصاخبـة تمامـا بالمـدن الثـلاث، كثـيرة المرايـا، تـرى فيهـا فقـط جـمال وجاذبيـة جسـدها الـذي يذبـل، ولا تـدرك غـير مـاء العشـق الجديـدة دائمـا، ترياقـا يخفـي التجاعيـد، ويلـون شـعرها الأشـيب، عـرف كيـف طـوت أحلامـه جانبـا، هـو يحدثهـا عـن الـروح، والحـب، وهـي لا تعـرف غـير النشـوة والنـزوات، يـا لـه مـن عاشـق سـاذج، مـا الـذي قـد يمنحـه هـذا الجسـد الشـائخ، المنتفـخ باللـذة التـي لا يعرفهـا أصـلا، ولم يجربهـا قـط، ربمـا سـيعرفها يومـا، واهـم ككل عاشـقيها.

مازوخية

التقيا هاربين، هي اغتالت براءتها يد شيخ اقتنصها من بين الأطفال، وهو حطام، قتلته الخيانة، للحظة رأى فيها روحه المعذبة، وجسدا منحته لكل يد، بعدما صارت مجرد جثة للحب، وهو كالآخرين يحلم بها، ويدرك أن هناك روحا أطهر تسكنها، وتحقق الحلم، وأشعلت روحه، ونثرت رمادها في جثته، فصار كالآخرين بلا ملامح، مرت سنوات، تروح وتجيء، علها تعيد إليه روحه، بلحظات مسروقة كل سنة، تعيد قتله كأول مرة، وهو لا يتوقف، مستمتع بذبحها، ويستعذبه، فصار كالمجنون بها، يعيش على تلك اللحظات، طول العام، وهي لم تزل طاحونة لعاشقيها، كل ترك في جسدها بعض آثاره، وحده ظل يحارب طواحين الهواء، قانعا بالذكرى.

استحواذ

خيـــال حبيبته القديمـــة قاهر جـــدا، يراه بـــكل امرأة عرفهـــا، وكل امـــرأة يصادفهـــا يـــرى منها شـــيئا، من جســـدها أو روحهـــا أو حتـــى طريقتهـــا في الـــكلام، منســـحق تماما أمـــام ذلك الخيـــال، ولم تســـتطع أي امـــراة أخرى أن تشـــبع روحه، مع أنه هو مـــن فارقها، وبعدما كانت النســـاء هن من يتقربن منه، ويســـعون إلى معرفتـــه، وبعد فراقهـــا صار يركض كل المســـافات المتاحـــة بينـــه وبـــين أي امـــرأة، يلمح فيهـــا ظلا من ذلك الخيـــال الذي تركـــه يوما، ويحدثها كأنـــه يعرفها، وتســـتغرب المـــرأة جـــدا، كيف يعـــرف عنهـــا ذلك، إنـــه لم يقابلهـــا قط، وحين يقـــترب أكـــثر يختلط عليه الأمـــر تماما، فيـــدرك أنه مـــا زال يعيش ذلـــك الخيال.

فشل

مع أنه انتهى من قصة الحب تلك، ظل يذهب للمكان نفسه كل مساء، في الوقت الذي اعتادا أن يلتقيا عنده، محافظا على تلك الملابس التي تراه أجمل فيها، لكنه حين ينظر لنفسه في المرآة قبل أن يغادر، آملا أن يلقاها ولو لمرة أخيرة، يجد غيمة حزن تغشى كيانه، فيكاد يحجم عن تلك الرغبة للقياها، في النهاية يخرج، ويظل وحيدا، في المكان نفسه، ساعات تقتل فيه الأمل ببطيء، فيعود مرغما لوحدته، ويقسم لنفسه ألا يعود لهذا المكان أبدا، ليجد نفسه في اليوم التالي، يفعل الشيء ذاته، بعد سنة، رآها فقام واقفا، رمقته، فجلست بعيدًا وأشعلت سيجارة، لم يستطع أن يتذكرها تدخن.

انكسار

جلست تلك المرأة العجوز، وجهها كان غاية في الجمال يوما، معها شاب في ربع عمرها، من حركة جسديهما وملامح وجهيهما ونظراتيهما تستشف أن هناك حبا ما بينهما، كنت أعرف المرأة، ولم أحدثها أبدا عن ذلك الشاب الذي أراه دائما بصحبتها، وعرفت لما سألت عن تلك المرأة أنها متزوجة من ذلك الشاب الصغير، وتقيم في تلك البلد السياحي منذ فترة غير قصيرة، وأنها بنت بيتا يقيمان فيه معا، وبحكم المجتمع الضيق للأجانب في تلك البلدة، قابلتها لأول مرة دون الفتى، فسألتها عن تلك العلاقة، فأجابت بهدوء، وبعيون منكسرة، وكأنها تتوقع السؤال، لو عشت حياتك وحيدا، ستعرف ماذا يعنيه هذا الولد لي.

أم

وقفت بسيارتها غير بعيد، وأشارت بيدها إلى عجوز شمطاء، تمسك بزجاجة خمر في يد، وبسيجارة بين أصابعها، وترتدي ملابس قصيرة جدا، تكاد تكشف عن سوءتها في ذلك الشتاء الجليدي، فسألها باستغراب:

- لم جئت بي إلى هنا؟؟

- أنت لم تدرك بعد.. تلك المرأة التي تراها أمامك.. هي من رمتني في الملجأ، حين قتل أبي في الحرب، وكنت ابنة ست سنوات.. إنها نفسها التي لم تجد عملا بعد الحرب سوى بيع جسدها.. لقد تعبت كثيرا حتى عرفت مكانها.. ويا ليتني لم أجدها، كانت طيفا جميلا بحياتي.. أعرفت لماذا يقتلني الحزن كلما رأيت أطفالا، أعرفت لماذا لا أريد أن أكون أما لأحد أبدا.

الولد

في عطلة مع أسرته حول المسبح الكبير، تلعب امرأته مع أصحابها في الماء، وهو يسترخي على أريكة مستمتعا تماما بالظل الجميل، فجأة تقدم إليه زوجان شابان، وسألاه أأنت والد هذين الطفلين؟ وأشارا إلى طفليه، وحاولا أن يتأكدا تماما، أهؤلاء ولداك؟ قال نعم.. فقالا له احترس، فهذا الولد الكبير حاول أن يغرق أخاه الصغير في المسبح منذ قليل، وتركاه مشدوها، لا يعرف كيف يفكر، وماذا يصنع، الولد الكبير لست أبوه، لكنني من رباه، أما ابني، فقام للولد الكبير، وعنفه وهدده إنه سيدخل السجن إن مس ابنه الصغير، فأخبره إن هي إلا بضع سنوات بالسجن، وسأخرج بعدها، وسأعيش حياتي خالصا من المنغصات.

وعد

تذهب للبحر كل غروب، وتوصي جارتها بالبيت، تظل تحدق في البحر، حتى يهبط الليل، ثم ترجع، تحكي لجارتها ما رأته من البحر، وما قاله البحر لها اليوم، وأنه وعدها أنه سيعيده إليها ربما غدا، أو بعد أسبوع، على الأكثر شهر، تدير جارتها وجهها عنها، كي لا ترى دموعها، وتربت على كتفها بحنان وتمضي..

- ألا تصدقينني؟؟ سترين.. قلبي ينبؤني أنه سيعود هذا الشهر..

تتركها صامتة، وتوصد الباب خلفها بهدوء، وتتركها تحدث نفسها، تفعل هذا كل مساء لسنوات.

خرجت الجارة في ليلة شتوية باردة، وإذا بطرقات على الباب..

- تَعَالَيْ.. قلت لكِ سيعود.. أنسيتِ شيئا؟؟

ورد صوته البعيد: إنه أنا.. أنا..

عودة

وقف ببابها، وضع حقائبه وطرق طويلا، تفقد النوافذ والحديقة الصغيرة، لا شيء تغير، أتراها سافرت، إنها لا تخرج عادة، والوقت متأخر قليلا، ما الذي حدث، على إثر الطرق قدمت جارتها العجوز..

- أهذا أنت؟؟

- ماذا تعنين سيدتي.. أتعرفينني؟؟ أأعرفك؟؟

نظرت إليه مليا، ثم وضعت في يده دفترا صغيرا ومفتاحا، ومضت، فتح الدفتر..

أول سطر فيه.. في انتظارك كنت..

طالع حياة تحبسها الكلمات بين دفتي كراس صغير، كلها أمل وحنين، فانكفأ منكسرا، وبدمعة حسرة فتح الباب، وجد كل شيء كما تركه، مغلفا بالأغطية البيضاء، وتعب من عد صوره التي تبعثرت في كل مكان، وكأنها تريد أن تراه بأي ركن كانت.

نزوة

بـدآ يتصرفـان بغرابـة، ويتناجيـان كثـيرا دوني، وأصبحـا يكلـمان بعضهـما أكـثر مـن أي شـخص آخـر، ولَـمْ أَدْرِ لِـمَ أخـبرني أنـه أقرضهـا مـالا، لأنهـا تركـت بطاقـة ائتمانهـا بالقاهـرة، مسـتدرا عطفـي حيالهـما، وتبريرا لتقربـه منها، مـع أننـي أعيـش في الشـقة معهـما، أشـعر كالغريـب، هـي تحثنـي أن أشـارك بالمـال أكـثر، وقـد كنـت أكثرهـم دفعـا بالأيـام الأولى لوصولنـا لتلـك المدينـة المكلفـة، صـار صاحبـي يراقبنـي، وإن نـام قبـلي يـضيء الغرفـة ويفتـح بابهـا، ليوهمنـي أنـه مسـتيقظ، وحـين يغلبـه النعـاس يتأكـد مـن نـوم صاحبتنـا أولا، وحـين حطت عليـه زوجته وضبطتـه بالمقهـى بمشـهد رومانـسي، إثـر اسـتدعاد مـن مجهـول، نظـرت للسـيدة المتصابيـة فسـقط لحـم وجههـا، وشـدته كالطفـل المذنـب، وبـدأت بالـصراخ.

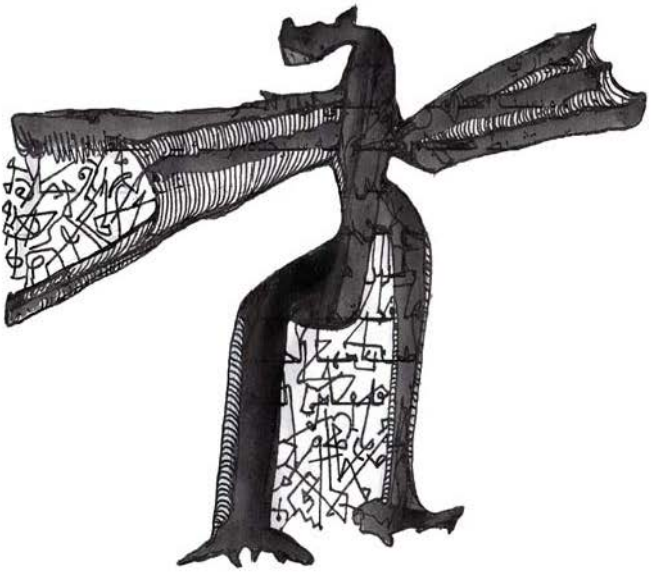

لقطة

مـر بنـا، وقـال إننـا بدأنـا نشـبه كلبنـا أو قِطَّنـا، فانتبهـت أنـا وزوجتـي، فنظرنـا كل للآخـر:

- أتعرفينه؟

- أتعرفه؟؟ من يكون؟

- كيف عرف أن لدينا قط؟!

وكشرقـي سـألت أمـن الممكـن أن يكـون ذلـك بدافـع عنـصري تجاهـي كمهاجـر في تلـك البلـدة؟؟ فطمأنتنـي زوجتـي أن الموضـوع عـادي، لكـن كيـف عـرف هـذا؟ فبحثنا كثيرا عنه في الحفل الصاخب، ولم نعثر عليه قط. وغادرنـا، كان أول شيء فعلنـاه، بحثنـا عـن القـط، وأخذنا نتأملـه بعمـق معـا، وفي اللحظـة نفسـها، أخـرج كلانـا هاتفـه ليلتقـط صورتـه، أنـا وزوجتـي والقـط، وظللنـا نقلـب الصـور طـول الليـل، بعدهـا قلنـا في صـوت واحـد يشـبه الاستسـلام، لقـد كان الرجـل محقـا تمامـا.

مئة

على جواده، حاول أن يحصي من استعبدهم بعد معركة كبيرة، استولى فيها على المدينة كلها، إلا من قتل منهم، فما أمكنه ذلك، فاستل سيفه، وأمر جنوده أن يرصوهم صفوفا، فما استطاع رؤية آخر الصفوف، فصار يمر بين الصفوف، وكلما ينتهي من عد مئة، يقطع كف واحد أو واحدة ممن استعبدهم، وصار ذلك طقسا، ولما أصابه التعب حينها، أمر الجنود أن يفعلوا مثلما فعل، ثم قاموا بجمع الأيدي، من بين الصفوف الباكية، حتى صار لهم تلالا عالية من الأكف النازفة، وراحوا يتلاعبون بها حتى الفجر، ولما صحوا، وجدوا كل كف واقف لصق أخيه صفوفا بالمئة، تكاد تلمس السماء، والأحياء منهم يصرخون.

الأشقر

جلس ممتعضا، فظننت أنه متعب، لاحظت أنه ينظر بما يشبه الغيظ، لصاحبنا الثالث، وللصندوق الكبير الذي وضعه بجانبه على أرض المقهى، كلاهما من بلد غربي واحد، ويفهمان بعضهما أكثر بالتأكيد مما لا أستطيع فهمه يوما، ومع الشاي سألت صاحبنا الشاب الأشقر عن عمله، فتبرع صاحبي الشيخ بالإجابة عنه: تاجر، فسألته وفيم تتاجر؟ فقال الشاب: من عدة سنوات خلت، كنت يوما أمشط شعري بزيت من صنع بلادي، وكنت أقيم وقتها في بلد إفريقي فقير، سألني شاب من تلك البلد عن ذلك الزيت، فأعطيته إياه، فصار يسألني عنه كلما رآني، وعرفت فيما بعد أنه ورفاقه يشربونه فيسكرون، من هنا بدأت تجارتي الرائجة.

قدر

هكذا يقودهم الزعيم بحماس نحو لا شيء، وكلما فكروا فيما يفعل، لا يفهمون شيئا، وكأنه قدر سلط عليهم، وكلما فعلوا شيئا من تلقاء أنفسهم وجدوه ناقصا إلا بالزعيم، ولا يجرأ أحد على الخروج من القطيع، هم في قرارة أنفسهم يعملون فقط، أما التفكير فله ناس آخرون غيرهم، ربما من طينة أخرى غير طينتهم التي جبلت على السمع والطاعة، فحياتهم محض أوامر من الأعلى، تسقط عليهم فجأة، وكأنهم يستحقونها، وكأنما فصلت عليهم، وحين يموت الزعيم فلا ينتخبون أحدا منهم، وإنما يأيتهم الأمر كذلك، ويتوج الزعيم، وخلف كل زعيم فئة بالسياط، وأخرى بالكتب المقدسة، فإما بالسياط يساقون، أو بما ينقلون من الكتب.

مقام

ذلك الرجل الضرير الذي دائما يجلس صامتا مبتسما على مفترق الطرق، قرب بيت جدتي القديم حيث المصطبة من الطوب اللبن، لا يبرحها أبدا، إلا للصلاة بالجامع، منذ عرفت الدنيا، أراه على ذلك، وبعد حين أدركت أنه يختفي عند موسم الحج كل عام، ويعود بملابس العيد أكثر شبابا كل مرة، وسمعت الكثير عنه من سكان قريتي وممن غادروها، بعضهم يقسم أنه رآه يطوف بالكعبة مبصرا، ومنهم من رآه يسقى ويطعم الناس والحمام تحت القبة الخضراء الشريفة، وآخرون رأوه يقدم الطعام للمساكين حول أضرحة أولياء الله الصالحين، بغير مكان، وحين غادر آخر مرة، حط نعشه الطائر وسط المقابر، فبنوا له المقام هناك.

كتاب

لما وقع ميتا بحثنا في ملابسه، وفي صرته التي يحملها دائما معه، حين يمر من عام إلى آخر على المقهى، لم نجد شيئا يدلنا على شخصيته، لكنني وجدت دفترا مكتوبا بخط رديء كرسائل ورسوم، لما انتهى الأمر، وأخذوا الجثة بعيدا، لم يكن الدفتر ذا بال، فأخذته معي، وظللت ليال حتى أفهم إنه مكتوب بخط لا يقرأ إلا في المرآة، وحين أحضرت المرآة انكسرت، فأحضرت قطعة منها فتفتت وصارت كالرمل، بعد أيام أحضرت مرآة أخرى فصارت رمادا أيضا، لما ذكرت اسم الله وأحضرت مرآة جديدة، رأيت الكتاب يشتعل، ويتحول للرجل بكامل ملامحه، ويطير في الهواء، ويتخبط بجدران الغرفة ولا يحرق شيئا.

خوف

رأي الأشجار تحت وطأة الليل رؤوسا تتصارع، في معركة بين عماليق، وبدا له أنه بين أرجلها تماما، ومن الممكن أن تدهسه في أي لحظة، فصار لا ينظر للأرض، وإنما شخصت عيناه لتلك الرؤوس، حتى ذلت قدمه فتدحرج ساقطا بالترعة الراكدة، التي سمع عن مقتوليها وغرقاها من تحولوا إلى مردة وعفاريت وجنيات، خرج منها يزحف على أربع، وهو الذي ما عرف العوم يوما، وظل يركض عبر الحقول، ولم يتوقف حتى النور عند بيوت القرية، الكلاب تنبح بشدة، وقرآن الفجر، والريح تصفر، ونهيق حمير، وهو يركض خلف الكلاب بالحجارة، وإذا بيد أبيه قرب باب البيت تقبض عليه، أين كنتَ؟؟ فيسقط مغشيا عليه.

عطاء

صحت مع الفجر كما اعتادت، خرجت خلف البهائم مع أبيها، وجدت قطعة معدنية بجيبها، فأخافها ذلك، فأعطتها ببراءة لأبيها، فأخذها فرحا، وسألها من أين لك هذا؟ فقالت وجدتها، في اليوم التالي وجدت عملة مماثلة، واليوم الثالث، فجلبوها واستجوبوها وهددوها وضربوها، علها تخبرهم عمن يعطيها المال، فأبلغتهم أنها تنام وتصبح، فتجد القطعة النقدية في جيبها، فأفرغوا جيوبها تماما، ونامت أمها وأختها لصقها، ولما أصبحوا وجدوا القطعة النقدية اللامعة، فقبَّلوها جميعا، وشددوا عليها ألا تخبر أحدا بذلك، لكنها ببراءة قالت لعمتها وخالتها، فانقطعت النقود، لكن بعدها كانت تتعثر بحجر كل صباح، فيدمى إصبعها، فتجد القطعة عند الدم تماما، ثم أخبرتهم، فانقطع المال.

شبح

لا موقع لقدم والمقهى صاخب جدا، الدخان ورائحة القهوة وأحاديث الناس تدفيء المكان، مع منتصف الليل تماما، هبت ريح باردة، انتبه لها جميع من في المقهى، لحظتها تماما، دفع باب المقهى شخص أبيض الشعر واللحية، بعصاة مطفأة تشبه سواد عينيه وعباءته، جلس وحيدا، وفي محيطه خلت الطاولات من الحياة، لم يسأل أحدا شيئا، وجاءته قهوته وشيشته، شربها ومضى، هبت ريح أكثر برودة حين غادر، من ساعتها بدأت ألاحظ الشيء نفسه، يحدث كل مساء، تبعته مرة، رأيته يختفي بعد شارعين في الظلام، في الحقيقة خانتني الشجاعة أن أتبعه أكثر؛ سألت عنه حين افتقدته يوما، فأخبروني أنه والد صاحب المقهى يرحمه الله.

سر

لم يأتـه النـوم، مـع أنـه كان مجهـدا، كذلـك الشـخير والتقلـب، كأنـه بحظـيرة تخـور فيهـا الأبقـار، نظـر مـن بـاب الخيمـة للقمـر، فقـام خارجـا، ومـع النسـمة الرقيقة للهـواء والسـكون، بعيـدا عـن الخيمـة لمـح شـيئا كأنـه الـبرق يصعـد الجبـل، أو يهبـط منـه، لم يـدرك لحظتهـا مـا الـذي حـدث، إنمـا هـو شيء مـضيء يتحـرك، فانخلـع قلبـه، وهـم بالعـودة للخيمـة، فاسـتوقفه جنـدي بملابس عسـكرية غريبـة، وكشـاف مضاء، وسـأله كلمـة سر الليل، فنظـر إليـه ببلاهـة، نعـم؟؟ فأشـهر سـلاحه القديـم جـدا في مواجهتـه، فتمتـم سر الليـل.. أنـا لا أعـرف مـا الـذي تعنـي؟؟ فقيـده وتركـه، واختفـى كأن لم يكـن، في الصبـاح وجـدوه مكومـا بـين الحجـارة، وقـد أصابـه الشـلل.

يقين

أيقظ كل من في البيت، كي يروا تلك الحمامة الغريبة التي حطت رحالها على نافذته، وظل يداعبها، ولما دخلوا غرفته، وفتح لهم نافذته، طارت ولم يرها أحد منهم، وظلوا يعيرونه بما يرى من خيالات، فأغلق بابه دونهم، فجاءته الحمامة، فأمسك بها، ولما خرج بها لهم، لم يرها أحد منهم، وظلوا يضحكون، ولما طارت منه نحو سقف الحجرة، ظل يطاردها وحده، وهم يتصايحون، مجنون أنت، ولما أخفق في اللحاق بها، وقفت على مسند الكرسي المذهب، فنظر إليهم، وطارت ثانية وصعدت إلى رف المكتبة، فأشار إليها، أترونها؟؟ إنها هناك، صرخ فيه أحدهم.. أفق يا أخي.. أين تلك الحمامة؟؟ فجأة حطت فوق رأسه.

عائلة

ذهب الرجال لقيلولتهم المعتادة تحت الشجرة الكبيرة، وإذا برجل يصيح، ثعبان.. فهرعوا إليه من يحمل فأسا أو بلطة أو عصاة، رأوا ذيله الطويل جميعا، فعاجله أحدهم بفأسه فقطع بعضه، وهرب الثعبان، تسمروا جميعا مكانهم، بدأ شيخ كبير في تلاوة تعاويذ وآيات القرآن، وعادوا تحت الشجرة، جميعهم هرعوا للزير إما يشربون ويغتسلون؛ في اليوم التالي، وهم يتناولون غداءهم، بنفس البقعة تحت الشجرة، رأوا ثعبانا آخرًا، أكبر وأطول، هم أحدهم بسحب فأسه، فنهاه الشيخ فتوقف، وظهرت الحية مقطوعة الذيل من الجهة الأخرى، فأسرع الثعبان الأكبر ناحية الزير، ودخله، وتمطع فهشمه، فوقف الرجال، وأسرع لحَيَّتِهِ وابتعدا، والشيخ يردد يا الله، ولم يرجعا أبدا.

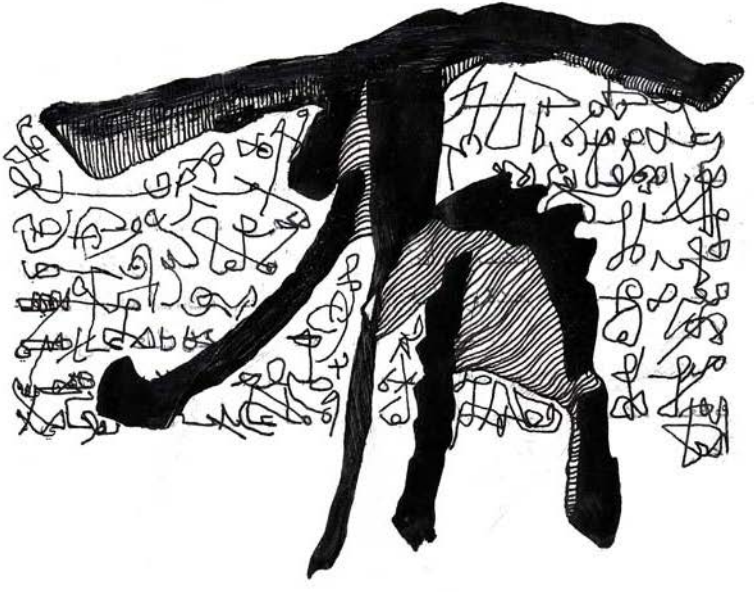

انعكاس

في هاجرة الصيف تخرج تلك الجنية، شعرها ذهبي يضوي بالشمس الحارقة، كاشفة عن ثدييها الفلاذيين، أظافر أصابعها طويلة بشكل مخيف، تطولك أينما كنت، ولا يرى لها أقدام، عيونها عميقة كالبحر، من ينظر فيها لا يعود أبدا، تتراكض في السكك المتربة، وتستدرجك إلى فرع النهر سريع الجريان، فيجدوا جثتك هناك عند الجسر البعيد، كجثث كثيرة استخرجوها عنده، فانتبهت إلى لمعة شيء كالذهب، نهق الحمار وتسارعت خطواته، وما يلمع يختفي ويظهر بقوة أكبر وأكبر، وسكت كل شيء في الكون، لم أفق إلا وقد سقطت عن الحمار بالترعة، ممسكا بقطعة مرآة كانت تلمع بالطين، حاولت أن أجذبها بقدمي وأنا على ظهر الحمار السريع.

غفوة

تركتني أضرب الأرض بقدمي، ودخلت في غيبوبتها الأبدية، كانت وعدتني أن تعود، ولم تعد، لكنني أراها كلما زرت المدينة الجميلة، وفي كل الأماكن التي أكلنا وشربنا بها، ليس كذكرى، كنت في الحقيقة أراها في كل امرأة أجنبية لها لون شعرها، واستدارة وجهها ولون عينيها، وثنايا جسدها الممتلىء، في ضحكتها البريئة، ولكنتها، وإشارات يديها وأصابعها، لكنني لم أستطع نسيانها، كل لحظة تضيف لعالمي روحا جديدة، أتأملها فأعيد قراءة ما لدي، وما أعطتني، وبالمقابل، أسأل نفسي ماذا أعطيتها غير روحي؟ تلك الشخصية المكتوبة بعمق أخاذ في رواية جميلة لكاتب بديع، هي لم تذهب لأي مكان، أنا الذي نمت، وأنا أقرأ تلك الرواية.

خلق

الأسد يأكل تِينًا، وله قرون ثور تشتعل، والملك الأسود الناري يمكنه أن يذهب لأي مكان يريده، ويتبعه خلق كثير، والملح مزروع في كل الأرض، وبعد دمار القرى أكلت ترابها الحيات، وصار الطير يسير على أربع، لكن هناك الماء، فالملك الناري تحرقه قطرة ماء، ويأكله الذئب، ولكن يقتله العطش، فيعوي، وتركض خلفه الكلاب، والحملان وادعة ببراءتها ترعي في الحديقة الخضراء، وعند ظهور القمر تخرج الجنيات، وعدوني أن أتزوج واحدة عند اكتماله، فأين يذهب ابن الإنسان في تلك الغابة، فوقه الشرير، ومن تحته بنات الجن، وعلى الأرض البراكين والزلازل والزوابع، ينسى ابن الإنسان أن خالق كل هؤلاء الحي، وأن هناك للحب مكان.

منطق

أحتاج مثل الشجرة أن أتخلص من بعض الأوراق والفروع البالية، وككل خريف مر بي ليس لي هم سوى مراجعة العمر، وربما لأنني صرت في خريفه أيضا، صرت بقسوة أكبر، وأرى الوقت يضيق، وأفكر أكثر فأكثر، وعرفت كم أن الحياة وخياراتها مربكة حقا، فغدوت أعمد للاختيارات المتاحة وأقلل منها، وبالورقة والقلم أكتبها وأمحوها كل مساء، فما يمكننا فعله بسهولة لا نقوم به لسهولته، أما الأصعب فمستبعد أصلا، لتظل الممكنات باحتمالاتها الكبيرة تشكل الحياة، وأن المستحيل هو ما يصنع العظماء، وبقدر صعوبته يكونون، فقررت ألا أحاول أن أكون عظيما، وفضلت أن أبقى هكذا مجرد إنسان، ربما العظمة عند بعض البشر محض قدر.

فهم

لم يـر غـير وحـوش يـأكل بعضهـم بعضـا، والغـش والفسـاد بـكل مـكان، هـذه غابـة، الحيـاة ليسـت هكـذا، فسـار يبحـث عـن اللـه، وجـد نفسـه يصعـد الجبـل، خاليـا تمامـا للصمـت لسـنوات طـوال، حتـى سـمع صوتـا بقلبـه، أتظـن أن اللـه خلقـك كي تعتـزل أبنـاء جنسـك، وتكـون وحيـدا هكـذا؟ مـاذا أفعـل وقـد تحـول النـاس لوحـوش كاسرة؟ نـزل عـن الجبـل، وسـار وتأمـل النـاس هادئـا، واختلـط بهـم، دون حاجـة مـن أحد، فعـرف كثيرا عنهـم، فكرههـم وأحبهـم واقتنـع لـولا هـذا مـا كانـت الحيـاة ولا جنـة أو نـار، عـلى مـاذا سيحسـابنا اللـه؟ إن كان كل إنسـان يعيـش وحـده بـلا خطيئـة؟ أن تخطـأ وتتـوب، سـتعرف نفسـك، فتعـرف ربـك، وتفهـم الحيـاة.

موقف

كلما هم بكتابة شيء، طالع كتبه، لا يقرأها، وإنما ينظر في كلماتها، وكأنما يزنها، ويجمع كلمات، ويعيد كتابتها في جملة، غالبا لا يجمع من الكلمات إلا ما يتوافق مع حالته، فكم ضبط نفسه متلبسا بترديد كلمات بائسة كحالته، وكان يترك ما يكتبه ليلة واحدة، وفي اليوم التالي يعيد قراءته على نفسه، فإن وجد نفس الحالة، استمر مطمئنا لما يكتبه، ويزيد عليه ويحسنه، وكأنما وجد المفتاح لما يريد، وكثيرا ما مزق أو محا ما يكتبه في تلك الليلة لمجرد شك فيه، وتذبذب ما كتب، فلا يكتب إلا قليلا مما استحوذ على فؤاده وعقله كاملا، فلا يجد مفرا من إفراغه في الورق.

معرفة

أعطيت لنفسي ألف عنوان واسم ووصف، وتركتها جميعا عند أول امرأة حقيقية أحببتها، وقلت لها سمني، فأعطتني يدها معنى، وشفاهها جسدا، وتهت في العنوان، ونسيت كل أسمائي، وضاعت كل أوصافي، وعرفت أن امرأتي محض خيال، رحت أفتش عنها، فقال حكيم هي فيك، فلماذا تهرب منها، وخارجك ليس من شيء سوى الوهم، فغدوت فزعا من نفسي، أي امراة تلك التي سأجدها مني، وفي، وكلي آلام وجروح، وحين خلعت نفسي عن نفسي، وجدت الله الذي أحياني، وفنيت عن نفسي، فأوجد لي روحي، وتركت روحي فأحياني ثانية، وأماتني فيه، فعرفت الحب، وتبعني كل ما في الكون، وأصبحت كل ورود العالم تنبت في كفي.

الفهرس

مقدمة	٥	سراب	٤٤
حسبة	٨	حيلة	٤٥
دائرة	٩	جنون	٤٦
شتاء	١٠	رحالة	٤٨
حالة	١٢	الطوق	٤٩
جريح	١٣	عابر	٥٠
عقد	١٤	لسعة	٥٢
إجهاد	١٦	إغراء	٥٣
عمل	١٧	كشف	٥٤
الظل	١٨	بالون	٥٦
صدام	٢٠	جبن	٥٧
للسماء	٢١	شفقة	٥٨
إرغام	٢٢	طير	٦٠
جرأة	٢٤	حكاء	٦١
حالة	٢٥	الثلج	٦٢
إمام	٢٦	إيمان	٦٤
نادل	٢٨	كمد	٦٥
غثيان	٢٩	ملامح	٦٦
قزم	٣٠	تفاحة	٦٨
رؤية	٣٢	سم سم	٦٩
يوم	٣٣	نشيج	٧٠
عجز	٣٤	حدس	٧٢
تماسك	٣٦	ألوان	٧٣
كسر	٣٧	نموذج	٧٤
نظرة	٣٨	اتجاه	٧٦
تجربة	٤٠	الشمال	٧٧
صندوق	٤١	الحلم	٧٨
موقف	٤٢	حوار	٨٠

وقت ٨١
الوردة ٨٢
طيف ٨٤
الشيخ ٨٥
السُّلَّم ٨٦
جرس ٨٨
قديس ٨٩
خيال ٩٠
استراحة ٩٢
هي ٩٣
لحظة ٩٤
إخلاص ٩٦
مأوى ٩٧
تلاعب ٩٨
حسابات ١٠٠
مسافة ١٠١
وهم ١٠٢
مازوخية ١٠٤
استحواذ ١٠٥
فشل ١٠٦
انكسار ١٠٨
أم ١٠٩
الولد ١١٠
وعد ١١٢
عودة ١١٣
نزوة ١١٤
لقطة ١١٦
مئة ١١٧
الأشقر ١١٨
قدر ١٢٠
مقام ١٢١
كتاب ١٢٢
خوف ١٢٤
عطاء ١٢٥
شبح ١٢٦
سر ١٢٨
يقين ١٢٩
عائلة ١٣٠
انعكاس ١٣٢
غفوة ١٣٣
خلق ١٣٤
منطق ١٣٦
فهم ١٣٧
موقف ١٣٨
معرفة ١٤٠

أشرف إبراهيم

كاتب وفنان وناقد تشكيلي

ashrafkaskia@yahoo.com

متفرغ للكتابة والفن التشكيلي منذ ٢٠١٠

نشر له كتاب «الفن بناء: دور الفن في الارتقاء بالمجتمعات الحديثة دار ابن رشد، القاهرة ٢٠١٤

نشر له ديوان «ما تبقى من سيرتي» ٢٠٠٥، وديوان «قصائد لها وحدها» ٢٠٠٦ على موقع كتب عربية. www.kotobarabia.com

نشرت أشعاره وأبحاثه ومقالاته في مجلات الشعر والثقافة الجديدة وأدب ونقد والشموع وسطور وغيرها من المجلات المتخصصة، وجرائد الشرق الأوسط والحياة اللندنية وغيرها. ونشرت مقالاته بالإنجليزية في مجلة كايرو مجازين (Cairo magazine) ومجلة مدينة، بالعربية والإنجليزية (Medina magazine)

٢٠١٤ حصل على جائزة البحرين للكتاب، عن كتابه «الفن بناء: دور الفن في الارتقاء بالمجتمعات الحديثة»

٢٠١٢ حصل على منحة الزائر الدولي من وزارة الخارجية الأمريكية

٢٠٠٩- ٢٠١٠ حصل على منحة التفرغ من وزارة الثقافة المصرية

٢٠٠٧ حصل على منحة الإقامة من وزارة الفنون والثقافة والتعليم النمساوية